سياسة مَلا مصطفى البارزاني تجاه يهود كُردستان
١٩٤٣-١٩٧٩م

الـــدكـتـــور

محمود محمد محمود زايد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

المساعد بقسم التاريخ والحضارة -

كلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر

(العدد الرابع والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. أكتوبر)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م)

سياسة مَلا مصطفى البارزاني تجاه يهود كُردستان ١٩٤٣-١٩٧٩م

محمود محمد محمود زايد
قسم التاريخ الحديث والمعاصر - كلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: Mzaid.3@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يرصد البحث صورة من التاريخ الاجتماعي لعلاقة شعبين من شعوب الشرق الأوسط، وهما الكُرد في كُردستان، واليهود الذين كانوا يعيشون معهم في كردستان قبل هجرتهم إلى الكيان الصهيوني، أو ما سُمي "إسرائيل". وبدى ذلك من خلال علاقة ملا مصطفى البارزاني بيهود كردستان كدراسة حالة تُعبّر عن أغلب الصورة الاجتماعية في المناطق الكردية حينذاك، بين الكرد المسلمين وقاطنيهم من الأقليات الأخرى غير المسلمة، كالمسيحيين واليهود والأيزيديين وغيرهم؛ لنرى هل كان للفروق والاختلافات العرقية والدينية والمذهبية أثر سلبي على المجتمع؟ أم كانت الروابط الإنسانية والمصالح المتبادلة تسمو على أيّ تنوع إثني ومذهبي؟

وعليه، ناقش البحث ماهية شخصية ملا مصطفى البارزاني في علاقاته مع غير المسلمين في كردستان، ثم بيان مقصود مصطلح "يهود كردستان"، وأبرز أنشطة هؤلاء اليهود الاجتماعية والاقتصادية في المناطق الكردية ومواقفهم من الحركة التحررية الكردية. جاء ذلك في إطار أشهر العائلات اليهودية في كردستان، مثل: عائلة ميخائيل ميخائيلي، وعائلة موشى بنيامين، وعائلة خواجا خِنّو. كما فسّر البحث لقاءات ملا مصطفى البارزاني بعضَ أصدقائه من يهود كردستان في "إسرائيل" بعد هجرتهم إليها أثناء زيارتيه لهذا الكيان في أبريل/نيسان ١٩٦٨م وسبتمبر/أيلول ١٩٧٣م، في خضم تلاقي العلاقات اللوجستية والعسكرية بين كرد العراق وإسرائيل وقتذاك عن طريق إيران.

الكلمـات المفتاحيـة: اليهـود – الكـرد – يهـود كردسـتان – إسـرائيل – كردستان – إيران – ملا مصطفى البارزاني – الهجرة.

Mullah Mustafa Barzani's policy towards the Jews of Kurdistan 1979-1943

Mahmoud Mohamed Mahmoud Zayed
Department of Modern and Contemporary History - Faculty of Arabic Language in Cairo - Al-Azhar University - Egypt.
email: Mzaid.3@azhar.edu.eg

Abstract: The study is one of the social history of the relations between the Kurds and the Jews, who lived with them in Kurdistan before their migration to the Zionist entity, or what was called “Israel”, through Mullah Mustafa Barzani’s relationship with the Jews of Kurdistan as a case study that expresses the basic of social relations in the Kurdish areas at that time, among the Muslim Kurds and their residents are from other non-Muslim minorities, such as Christians, Jews, Yazidis, and others; To see whether the differences and ethnic, religious and sectarian differences had a negative impact on society? Or were human relations transcending any ethnic and sectarian diversity؟

The research discusses the personality of Mulla Mustafa Barzani in his relations with non-Muslims in Kurdistan. What is the meaning of the term "Kurdistan Jews"? What are the most prominent social and economic activities of these Jews in the Kurdish regions and their positions on the Kurdish liberation movement? This came within the framework of the most famous Jewish families in Kurdistan, such as: Michael Michaeli, Moshe Benjamin, and Khwaja Khannu. The research explained the meetings of Mulla Mustafa Barzani with some of his friends from the Jews of Kurdistan in "Israel" after they emigrated to it during his visits to Israel in April 1968 and September 1973 at the time of the logistical and military interests agreement between the Iraqi Kurds and Israel through Iranian intelligence

Keywords: Jews - Kurds - Jews of Kurdistan - Israel.
- Kurdistan - Iran - Mullah Mustafa Barzani - immigration.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعود الفضل وراء فكرة هذا البحث لأستاذي الراحل، الأستاذ الدكتور مصطفى رمضان، أسكنه الله وكل أساتذتنا، الفردوس الأعلى مع المصطفى – عليه الصلاة والسلام. وذلك حينما أخبرني في عام ٢٠١٨م أن لديه تقريرًا عبريًّا يتحدث عن العلاقات بين الكرد واليهود، أُرسِلَ إليه بريديًّا من تل أبيب، واستلمه في ٢٤ أغسطس (آب) ١٩٩٦م حينما كان رئيسًا لقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة – جامعة الأزهر. وظل محتفظًا به في أرشيفه الوثائقي بمكتبته الخاصة طيلة هذه المدة. أطلعني – رحمه الله – على التقرير، وأعطاني نسخة مصورة منه بغرض ترجمته وإعداد بحث علميٍّ منه، لكن تقلبات مرضه المتكررة لم تمكننا من الشروع في البحث حتى وافته المنية صباح ٢٦ أبريل/نيسان ٢٠٢١م! فرأيت لزامًا عليّ؛ برًّا ووفاءً لأستاذي أن أحقق رغبته بإعداده وإخراجه إلى النور.

عُنوِنَ البحث بـ: «**سياسة ملا مصطفى البارزاني تجاه يهود كردستان ١٩٤٣-١٩٧٩م**». وابتدأته زمنيًّا بتولي ملا مصطفى زعامة الحركة الكردية في العراق سنة ١٩٤٣م، انتهاءً بوفاته سنة ١٩٧٩م، وتناول سياسته تجاه اليهود أثناء إقامتهم مع الكُرد في كُردستان وبعد هجرتهم إلى الكيان الصهيونيّ، وكذلك سياسة هؤلاء اليهود تجاه ملا مصطفى والشعب الكُردي عامة خلال المدة المحددة، سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، كدراسة حالة تُعبّر عن العلاقات بين الكرد المسلمين وقاطنيهم من الأقليات الأخرى غير المسلمة، كالمسيحيين واليهود والأيزيديين وغيرهم؛ لنرى هل كان للفروق والاختلافات العرقية والدينية والمذهبية أثر سلبي على المجتمع؟ أم كانت الروابط الإنسانية والمصالح المتبادلة تتجاوز أيّ تنوع إثني وديني ومذهبي؟

رسمت الدراسة ماهية شخصية القائد الكردي ملا مصطفى البارزاني في علاقاته مع غير المسلمين في كردستان، ثم بيَّن مقصود مصطلح أو مسمى

"يهود كردستان"، وأبرز الأنشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهؤلاء اليهود في المناطق الكردية، وفسَّرَ مواقفهم من الحركة التحررية الكردية. كما ناقش مواقف ملا مصطفى منهم من خلال أشهر عائلاتهم، كعائلة موشى بنيامين، وميخائيل ميخائيلي، وخواجا خِنّو. ورصد لقاءات ملا مصطفى البارزاني بعضَ أصدقائه من يهود كردستان في "إسرائيل" أثناء زيارتيه لهذا الكيان في أبريل (نيسان) ١٩٦٨م وسبتمبر (أيلول) ١٩٧٣م في خضم تلاقي العلاقات اللوجستية والعسكرية بين كرد العراق وإسرائيل وقتذاك عن طريق إيران.

هذا، وقد تشكلت محاور هذا البحث من مصادر ومراجع مختصة وذات صلة مباشرة بالموضوع، وعلى رأسها تقرير عبري صادر عن الخارجية الإسرائيلية بعنوان: **"ביקור חשאי"**، أي «**زيارة سرية**». ويتكون من ست عشرة صفحة، تخللها أربع صور ألتقطت داخل الكيان الصهيوني، الأولى: للقائد الكُردي مَلا مصطفى البارزاني مع صديقه ديفيد گاباي – من يهود كردستان – بعد هجرته إلى الكيان الصهيوني، والثانية والثالثة: لمجموعة من يهود كردستان بعد الهجرة، والرابعة: خطاب باللغة العربية من ملا مصطفى لصديقه ديفيد خواجا خِنُّو، وسوف نرفق هذه الصور مع صفحات من التقرير في ملاحق البحث.

تأريخ كتابة التقرير غير مذكور، إلا أنه يتناول أحداثًا تمت بين عامي ١٩٦٨–١٩٧٩م عن تفاصيل زيارتيّ ملا مصطفى لإسرائيل في عامي ١٩٦٨م و ١٩٧٣م، وكذلك زيارة قام بها صديقه ديفيد گاباي إلى مصطفى البارزاني في حاجي عمران بإقليم كردستان عن طريق الموساد الإسرائيلي والاستخبارات الإيرانية. ولمّا لم أجد مصدرًا أو مرجعًا آخر يعضد ما ورد في هذا التقرير أو يكذبه، فقد تعاملت معه بحذر علمي؛ خاصة أني لحظتُ في بعض معلوماته مبالغة، ربما لإرسال رسائل ما لمن يطلع عليه، كما لحظت أنه أغض الطرف وتجاهل تفاصيل لقاءات مهمة جدًّا عقدها ملا مصطفى مع

مسؤولين كبارًا في الكيان الصهيوني آنذاك، لكن وثائق من الخارجية الأمريكية أشارت إلى نتائج عملية لهذه اللقاءات، وهذا ما تناوله البحث أيضًا.

واللّه الموفق

أولاً – شخصية مَلا مصطفى البارزاني (١٩٠٣-١٩٧٩م):

في الأوساط والأدبيات الكردية، يعدّ ملا مصطفى البارزاني[١] وحدًا من أبرز القادة في تاريخ الحركة التحررية الكردية في العصر الحديث؛ لما تميز به –من وجهة نظرهم– بحنكة سياسية، وشجاعة عسكرية، وبُعدٍ إنساني تتوافق عليه مكونات المجتمع الكردستاني، إضافة إلى التاريخ النضالي له ولعائلته نحو الحقوق القومية للكُرد. من هنا، حاز الريادة والقيادة والاحترام والتقدير بين شعبه، كما نال تقدير بعض الأجانب الذين زاروه[٢].

وُلد مصطفى محمد البارزاني في ١٤ مارس/آذار ١٩٠٣م في منطقة بارزان لأسرة ذات شأن سياسي ودِيني في محيطها، وتولى قيادة الحركة الكردية بعد أخيه الشيخ أحمد البارزاني (١٨٩٦–١٩٦٩م) منذ بدايات العقد الرابع من القرن العشرين حتى وفاته في الأول من مارس/آذار ١٩٧٩م. وخلال هذه المدة اندلعت بينه وبين الحكومات العراقية عدة مواجهات عسكرية

---

(١) تأتي كلمة (مَلا) من اللفظ العربي (مولى)، ولها استخدامات عدة، كـ (مولانا) التي أُطلقت عند الدراويش والصوفية، وفي العصر العثماني لُقّبَ القضاة بـ (ملا أفندي)، ومن ثم انتقلت إلى الأقاليم الخاضعة للعثمانيين كالكرد والعرب. واستعملها الكُرد بـ (مَلا)؛ وصفًا لعالم الدين الإسلامي وأئمة المساجد، وجمعها "ملالي". ولا يعني وجود كلمة "مَلا" في اسم ملا مصطفى أنه كان عالم دين، وإنما اسمه مركب من كلمتين (مَلا مصطفى). ينظر: عبدالفتاح بوتاني: ملا مصطفى البارزاني قائد الثورة وملهمها، منشورات مركز الأبحاث العلمية والدراسات الكوردية – فاكولتي العلوم الإنسانية/اسكول الآداب بجامعة دهوك، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، ص٩.

(٢) عبدالقادر البريفكاني: الحركة القومية المعاصرة من مصطفى البارزاني إلى مسعود البارزاني وثائق ومستندات، منشورات المركز العربي الدولي للإعلام–القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ٦٥ وما بعدها.

بين عامي ١٩٤٣-١٩٤٤م، ثم بين عامي ١٩٦١-١٩٧٥م، لم يحقق الكرد منها كل ما كانوا يرومون إليه من نزعات قومية استقلالية[١].

ليس المجال هنا مجال ترجمة لملا مصطفى أو تعريفًا به ولا لنضاله السياسي والعسكري، وإنما إبراز نقاطٍ تفسر مرتكزات العلاقة المتبادلة بينه وبين يهود كردستان، الذين احتك بهم منذ طفولته، ومعاملته لبعضهم عن قرب؛ فمنقطة بارزان الكردية (مسقط رأس البارزاني) كانت ملتقى لعدد من الجاليات غير المسلمة[٢]، لاسيما اليهود. لكلٍ منهم عمله وعباداته الخاصة، وتجمعهم علاقات طيبة في إطار العادات والتقاليد التي تعمّ المنطقة[٣].

لذلك يمكن القول: إن الجغرافيّة التي نشأ فيها ملا مصطفى كان لها أثر كبير في تكوين شخصيته؛ فبارزان تقع في مكان مميز على السفوح الجنوبية لجبل شيرين في شمال شرق أربيل[٤] على الضفة اليسرى من نهر الزاب الكبير الذي يصب في دجلة. وقاطنوها ينسبون إليها، إذ يُسمَون "البارزانيون"، وهم ليسوا عشيرة واحدة كما يعتقد البعض؛ إنما هم بالأساس عبارة عن اتحاد

---

(١) تتوفر عشرات الكتب والأبحاث بعدة لغات تتناول تفاصيل حياة وجهود ملا مصطفى البارزاني بالدراسة والتحليل، سواء من الذين عاصروه أو التقوه، أو سمعوا ممن عاصروه، أو من الأكاديميين والصحفيين. ومنها ما هو متاح على شبكة الإنترنت بعناوين تحمل اسمه، مثل ما كتبه د. عبدالخالق ناصر العامري، وأيوب بارزاني، ود. فاضل البراك، وعبدالقادر البريفكاني، ود. عبدالفتاح البوتاني، وحسن وصفي، وگونتر، وراندل، ونكديمون ومكدونال وغيره من المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

(٢) فاضل البراك: مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة، طبعة بغداد ١٩٨٩م، ص٦٤.

(٣) أيوب البارزاني: بارزان وحركة الوعي الكوردي ١٨٢٦-١٩١٤م، د.م، ١٩٨٠م، ص٢٤.

(٤) عاصمة إقليم كردستان العراق حاليا.

عشائري أخذ اسمه من المنطقة الموجود فيها[١]، ثم اتسع وشمل آخرين في إطار ما بدى يُعرف بعد ذلك بالمواطنين الكردستانيين.

من الناحية السياسية: تميزت بارزان عن غيرها من المناطق الكردية بأنها كانت ولا تزال موطن حركة سياسية بدأت في القرن التاسع عشر الميلادي، ولها دور كبير في نشر الوعي القومي الكردي[٢]، وأسفرت بالنهاية –في ظل تكاتف القوى الكردية – إلى تحولات مهمة في مجال الانتقال إلى الوحدة السياسية بمفهومها الحديث، وتدشين حكم ذاتي للكرد، ثم فيدرالي، ثم أوسع من ذلك في مناطقهم داخل الحدود السياسية للعراق.

ودينيًّا: حازت "بارزان" مكانة عالية بعد تبعيتها للطريقة النقشبندية التي كانت ذات مكانة خاصة في وجدان الكرد[٣]. أي إن ملا مصطفى نشأ في وضع اجتماعي وديني عدّهما البعض[٤] مصدر السلطة في كردستان إلى عهد قريب.

في هذه الأجواء، نجح ملا مصطفى في تكوين شخصية كارزمية نجحت في التفاف المكونات غير المسلمة حوله إضافة –بطبيعة الحالة– عن الأغلبية المسلمة التي تعيش في منطقته[٥]؛ فمع اعتزازه وثقته بنفسه العالية تحدثوا عنه أنه كان متواضعًا، متمتعًا بإنسانية، حاضرًا بين المواطنين، يستمع إلى

---

(١) فاضل البراك، ص٦٣. عبدالفتاح بوتاني، ص٩.

(٢) جوناثان راندل: أمة في شقاق.. دروب كردستان كما سلكتها، ترجمه عن الإنجليزية فادي حمود، دار النهار–بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص١٥١. گونتر دشنر: أحفاد صلاح الدين الكورد الشعب الذي تعرض للخيانة والغدر، ترجمه عن الألمانية عبدالسلام برواري، الطبعة الثانية، دهوك ٢٠٠٠م، ص ص٣١–٣٢.

(٣) للمزيد عن مظاهر ذلك يراجع "بارزان وحركة الوعي الكوردي" لأيوب البارزاني، سابق.

(٤) جوناثان راندل، ص١٥٠.

(٥) عبدالفتاح بوتاني، ص١١٥.

مشاكلهم، يحلها بالمساواة والعدل، حتى أضحت تصرفاته وسلوكياته قدوة لغيره من المحيطين به[١]. كما أن اعتدال فكره وتوازنه بين التوجهات، جعله يقف على خط واحد من جميع المكونات الدينية بهدف تحقيق العدالة في المناطق الكردية التي تمتد إليها نفوذه.

وبالتالي، شهدت الحركات المسلحة الكردية ضد الأنظمة العراقية في القرن العشرين تعاونًا ملحوظًا من اليهود والمسيحيين مع المقاتلين الكُرد دفاعًا عن أراضيهم وقوميتهم. كما أن نوعية العلاقات التي عوملوا بها من الكرد، لاسيما ملا مصطفى، كانت محور ارتباط اليهود به وبتحركاته السياسية والعسكرية[٢].

هذا، وقد لفتت شخصية ملا مصطفى البارزاني انتباه زائريه من الأجانب. جاء في التقرير الإسرائيلي المنوّه عنه سابقًا: «إن كل من التقى البارزاني في جبال كردستان يصفه وكأنه مستودع أسلحة متحركة طيلة الأربع والعشرين ساعة. لباس كردي من قماش الخاكي الذي جعله لباسًا لمقاتليه، وحذاء قصير بدون رباط. وعلى رأسه قبعة تتكون من كوفيتين مضفورة الواحدة بالثانية. وعلى جسده حزامان من الطلقات ورشاش تشيكي ذو سبطانة طويلة، بالإضافة إلى مسدس نصف أتوماتيكي، ومخزن في الداخل، واثنان في الحزام، وخنجر حاد وعلى قبضته يوجد هلال. إن البارزاني وُهب بقوة طبيعية كبيرة، وحواس حادة لإنسان مضطهد، كما تميّز بالنظر إلى أبعد وقدرة إصابة

(١) جوناثان راندل، ص١٥٣.

(٢) متين فاضل طه: حركة الشيخ عبدالسلام البارزاني ١٩٠٣-١٩١٤م دراسة تاريخية سياسية وثائقية، مطبوعات فيربون – أربيل، ٢٠١٨م، ص١٥.

الهدف إلى حد الشعرة. إن الفقر والنقص في الذخيرة قد علمت الكُرد أنه من المحظور بعثرة الإطلاقات»[١].

ويضيف أن شخصًا إسرائيليًّا كان هناك يصف الحالة: «عندما تعرفنا على البارزاني كان زعيمًا بكل جوانحه، ورجلا اجتماعيًّا. وعندما كنا نجلس في الليل، وفي بعض الأحيان إلى ما قبل الصباح كان البارزاني غزيرًا بالنكات والحِكَم، متضلعًا بالمواضيع الدينية، شخصًا ذكيًّا وذا ثقافة ذاتية. يُجيد العربية والفارسية (إلى جانب الكردية). إنه عَلِمَ أن العالَم يدوّر على مصالح، وأن المضطهدين ليس لديهم فرصة كبيرة»[٢].

ثانيًا - يهود كردستان:

اشتهرت كُردستان بأنها منطقة تعايش تعاوني مشترك بين مواطنيها الأصليين أو القادمين عليها من أقليات عرقيّة ودينيّة ومذهبيّة، يتشاركون سُبُل العيش، وتتداخل بينهم العادات والتقاليد، وتجمعهم المصالح العليا على الأغلب، وتسوؤهم الأوجاع الداخلية، وتؤلمهم الاعتداءات الخارجية[٣]. هذه الصورة تجعل الذي يكتب عن أيٍّ من مكوّنات المجتمع الكردستاني لا يهمل بقية المكونات الأخرى بما يتعلق بماهية الموضوع؛ نتيجة التعانق والارتباط في الظروف والبيئة التي تعيشها تلك المكونات داخل كردستان، سواء على المستوى المدني أو القروي.

كان من بينها الأقلية اليهودية، التي كانت عائلاتها وأُسَرها إلى عهد قريب جزءًا من مكونات المجتمع الكردستاني قبيل أن يهاجروا أو يهجّروا إلى

---

(١) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי", דו"ח על ביקורו של מוסטפא ברזני בישראל, 1968 , 1973.

(٢) Ibid

(٣) فرهاد عوني: ذاكرة الأيام، تقديم د. عبدالفتاح البوتاني، الطبعة الأولى، أربيل ٢٠١١م، ص٥٠٩.

فلسطين المحتلة، بسبب الموقف العربي العام من اليهود في أغلب البلدان العربية، بما فيها العراق الذي قام بطرد اليهود من جهة، وكذلك رغبة البعض الآخر من اليهود في العودة إلى أرض الميعاد من وجهة نظرهم، لاسيما بعد إعلان الصهاينة قيام ما أسموه دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م(١).

أكاديميًّا، يطلق على الأقلية اليهودية في كُردستان اسم «يهود كردستان»، وليس «يهود الكُرد» أو «يهود كرد» أو «الكرد اليهود»؛ فيهود العراق وكردستان -كغيرهم من اليهود- يدّعون أنهم من الجنس السامي، وليسوا من الجنس الآري الذي منه الكُرد(٢)، وأنهم حاولوا الحفاظ على عرقهم(٣)، وأن ديانتهم غير تبشيرية منغلقة على بنيها وذراريهم(٤). وفي بدايات القرن الحادي والعشرين توصلت دراسة قام بها أكاديميون(٥) في قسم (Hematology) بالجامعة العبرية بإسرائيل -من خلال الفحص بالحمض النووي- على ستة

(١) هشام فوزي حسني عبدالعزيز: النشاط الصهيوني في العراق بين عامي ١٩٢٠-١٩٤٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الآداب الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م، ص٩٣. مصطفى رمضان، ص٨٧.

(٢) ڤ. ف. مينورسكي: الأكراد ملاحظات وانطباعات الأكراد أحفاد الميديين. ترجمة عن الروسية د. معروف خزنة دار ود. كمال مظهر أحمد، رابطة كاوا، دار الكاتب بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ص١٢٧-١٤٠. جمال حمدان: اليهود إنثربولوجيا، منشورات دار الكاتب العربي للطباعة والنشر-القاهرة ١٩٦٧م.

(٣) هشام فوزي حسني عبدالعزيز، ص٩١.

(٤) علي شيت محمود الحياني: اليهود في الموصل ١٩٢١-١٩٥٢م دراسة عامة، أطروحة دكتوراه أجيزت من كلية الآداب جامعة الموصل سنة ٢٠١٢م، ص٢.

(٥) هم:

Almut Nebel, Dvora Filon, Bernd Brinkmann, Partha P. Majumder, Marina Faerman, and Ariella Oppenheim.

من مكونات مجتمع الشرق الأوسط[١]، إلى أن يهود كردستان الذين هاجروا إلى "إسرائيل" قريبو الصلة عرقيًّا مع اليهود السفاردم، وأن كليهما مختلفان عن يهود الأشكناز[٢].

إذن، فيهود كردستان ليسوا من جنس المناطق الكردية، ويعود تاريخ وجودهم فيها وفي العراق إلى ما بين القرن الثامن والسادس قبل الميلاد، فخلالهما حدثت ثلاث عمليات تهجير رئيسية لليهود من فلسطين إلى بلاد ما بين النهرين[٣]. وشهد عام ٧٢٤ق.م أكبر وأهم عملية تهجير من السامرة، وهي (مملكة إسرائيل شمالي فلسطين) عندما اجتاح ملك آشور المملكةَ[٤]، ونُقل اليهود منها إلى بلاد ما بين النهرين، فاستوطنوا الحلة والخابور وغيرها في مناطق كردستان[٥].

---

(١) هم: السفارديم (اليهود المهاجرون من أيبيريا "أسبانيا والبرتغال")، الأشكناز (اليهود المهاجرون من "ألمانيا وفرنسا")، يهود كردستان، كرد مسلمون، بدو من النقب، وعرب مسلمون في الأراضي المحتلة والسلطة الفلسطينية.

(2) Almut Nebel and others, The Y Chromosome Pool of Jews as Part of the Genetic Landscape of the Middle East, study is published at Am J Hum Genet. 2001 Nov; 69 (5): pp.1095–1112.

(٣) مصطفى محمد رمضان: صراع العرب واليهود في فلسطين منذ أقدم العصور حتى الآن، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ص١٨-٢٠.

(٤) فرست مرعي: فصول من تاريخ يهود كوردستان، منشورات المديرية العامة للإعلام والطباعة والنشر بوزارة الثقافة والشباب بحكومة إقليم كوردستان، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص ص٥٠-٥٣.

Mardean Esaac, Kurdistan and Israel (Israel & The Middle East), Study is published on https://www.tabletmag.com/sections/israel-middle-east/articles/kurdistan-and-israel, Nov, 2018.

(٥) مُردخاي زاكن: يهود كردستان ورؤسائهم القبليون، ترجمة د. سعاد محمد خضر، مراجعة أد. عبدالفتاح البوتاني – د. فرست مرعي، منشورات بنكەی ژین – السليمانية ٢٠١١م، ص ص٣٢-٣٣.

التي حددها إسحاق تسفي[١] باثنتي عشرة منطقة[٢]. وبحكم طول الفترة التاريخية وطبيعة الحياة المتنقلة في كردستان بالهجرة الداخلية، امتد وجود اليهود في كردستان إلى مناطق أخرى إضافية لما سبق.

عاش اليهود في هذه المناطق الغريبة عليهم مشردين طريدين في البداية، ومع مرور الوقت استطاعوا التكيّف معها ومع ظروفها، حتى إنه بالتقادم أصبحوا يشكلون جزءًا مهمًّا في العراق من الناحيتين الاقتصادية والسياسية ومشاركين في الحياة العامة[٣]، حتى أصبحت لهم مستوطنة إبان العصر العباسي ظلت مزدهرة حتى سقوط بغداد على يد المغول ١٢٥٨م[٤].

الأمر نفسه في المناطق الكردية، حيث تجاوب اليهود مع الحياة القبلية والعشائرية في ريفها وجبالها ومدنها، محافظين على خصائصهم الذاتية بشكل عام طيلة السنوات التي عاشوها في كردستان، على الرغم من تغيّر أنظمة الحكم على المنطقة عرقيًّا ودينيًّا ومذهبيًّا، بل إنهم أسسوا لأنفسهم بعض الإمارات حاكمين لها، مثل إمارة حيدياب التي استمرت نحو قرن (١٥-

---

(١) إسحاق تسفي (١٨٨٤-١٩٦٣م)، مؤرخ صهيوني عمالي شهير من أصول أوكرانية، ثاني رئيس لإسرائيل، من عام ١٩٥٢م حتى سنة وفاته ١٩٦٣م.

(٢) هي: كركوك والسليمانية وأربيل وعقرة وزاخو وآميدي وسندور ونيشرفيلة ونيرفه بكردستان العراق حاليًا، وأورمية ونصيبين بشمال كردستان جنوب شرق تركيا، ثم مدينة الموصل بالعراق. ينظر شلومو نيكديمون: الموساد في العراق ودول الجوار.. انهيار الآمال الإسرائيلية والكردية، ترجمه عن العبرية بدر عقيلي، منشورات دار الجليل-عَمّان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص٢٥.

(3) Hayyim, J. Cohen., The Jews of the Middle East 1860-1972, Jerusalem, Keter press, 1972, p2.

(٤) صلاح الدين مجيد علي كريم الزنكنة، صفحات من تأريخ اليهود في العراق وكوردستان، منشورات الجمعية الثقافية والاجتماعية في كركوك، الطبعة الثانية ٢٠١٠م، ص٢١. Mardean Esaac, Op. Cit

١١٦م)، وامتدت بين دجلة وآذربيجان، وتوسعت غربًا إلى نصيبين[١]. أي إن يهود كردستان تمكنوا من أن يصنعوا لأنفسهم تاريخاً خاصًّا بهم إلى حد ما وقتذاك.

ودينيًّا، كان يَتْبَعون رئيسهم الملقب بـ "حاخام باشي"، الذي على رأس "الحخمباشية"[٢] تلك الوظيفة الموجودة منذ العصر العثماني، وظلت مستمرةً في العراق حتى صدور قانون الطائفة الإسرائيلية رقم (٧٧) لعام ١٩٣١م؛ إذ تغير لقبه إلى "رئيس الطائفة" أو "رئيس الحاخاميين"[٣].

وطيلة وجود اليهود في كردستان ساعدتهم الطبيعة المجتمعية على ممارسة طقوسهم الدينية بانتظام كما تشير أغلب تقاريرهم الدينية، وإن كان بعضها يشير إلى مضايقات حدثت لهم في أداء بعض الطقوس، لاسيما زيارة بعض الأماكن الدينية بالنسبة لهم[٤]، مثل كهف النبي إبراهيم عليه السلام في أورفه في جنوب شرق تركيا حاليًا[٥].

---

(١) للمزيد عنها ينظر نوري بطرس عطو: تأريخ حدياب، الطبعة الأولى، مطبعة المنارة– أربيل ٢٠١١م. أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل– إربد، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص٢١٢.

(٢) موضوع وظيفة "الحخمباشية" في العصر العثماني جدير بأن يخصص لها بحث.

(٣) علي شيت، ص ص١٢٤–١٢٥.

(٤) كان ليهود كردستان عدد من الأماكن الدينية، عبارة عن مقابر وكهوف وغيرها. ينظر إريك براو: يهود كردستان، أكمله وأصدره رفائيل پاتاي، ترجمه شاخوان كركوكي وعبدالرازق بوتان، منشورات ئاراس للطباعة والنشر – أربيل، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ، ص٣٥٢. وهو كتاب مهم تناول يهود كردستان أنثربولوجيًا واجتماعياً، توفي مؤلفه عام ١٩٤٢م، ولم تصدر طبعته الأولى إلا عام ١٩٤٦م بتقديم رفائيل پاتاي أيضا. فرست مرعي، ص٦٠–٦١.

(٥) مُردخاي زاكن، ص٣٩.

كان الكُنيس (المعبد الذي يتعبد فيه اليهود) موجودًا بقلّة[١] عند كل تجمع لليهود سواء في القرى أو في المدن[٢]. ولم يقتصر الكُنيس على كونه مركزًا لممارسة الشعائر الدينية، بل كان يحتوي ما يشبه مدرسة أو فصلا دراسياً لأبناء اليهود يتعلمون فيها الأبجدية العبرية والتعاليم الأولية للديانة اليهودية باللغة العبرية[٣]. ولم تنشأ مدارس للتعليم عمومًا في كردستان إلا مع بدايات القرن العشرين، وبشكل محدود[٤]. وتفسير حالة الندرة هذه أن عموم المنطقة الكردية بالأساس كانت تعاني من تهميش ملحوظ في الناحية التعليمية لكل قاطنيها[٥]، هذا عكس الوضع في بغداد والبصرة وغيرها من المدن العربية في العراق، حيث شُيّدت لليهود – مثل غيرهم – مدارس خاصة بهم، بدءًا من العصر العثماني، وظلت تزيد وتتطور حتى هجرتهم إلى إسرائيل في منتصف القرن العشرين[٦].

توزعت أماكن إقامة اليهود في كردستان بين القرى والمدن، وكانوا يخضعون لسلطة مشايخ القبائل ورؤسائها[٧]، وعندما يزور بعض يهود المدن

---

(1) Raphael Patai, Haya Bar-Itzhak: Encyclopedia of Jewish folklore and traditions, New York, London, 2013, p303.

(٢) ورد حصرها في عدد من المراجع، منها: فرست مرعي، ص٦١-٦٣.

(٣) مُردخاي زاكن، ص١٧١.

(٤) للاطلاع على أماكنها ينظر: صلاح الدين مجيد علي كريم الزنكنة، ص١٢٨. فرست مرعي: ص٦٣.

(٥) هشام فوزي حسني عبدالعزيز، ص١٧.

(٦) لتفاصيل ذلك ينظر فاضل براك: المدارس اليهودية والإيرانية في العراق دراسة مقارنة، منشورات دار الرشيد للطباعة – بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٤م. وينظر: صلاح الدين مجيد علي كريم الزنكنة، ص ص٣٥-٤٧.

(7) Raphael Patai, op. cit, p303.

للمزيد ينظر: صلاح الدين مجيد علي كريم الزنكنة، ص ص١٠٩-١١١.

القرى الكردية يخضعون لقواعد القبيلة ونظامها[١]. وبمرور السنوات وتعاقب الأجيال اتسم يهود كردستان بعادات وتقاليد الكُرد في المأكل والملبس والمناسبات، حتى لغتهم المجتمعية أصبحت الكردية، وذلك في ظل تعايش وتعاون مشترك، وحرية متبادلة[٢].

في الواقع، إن كل من زار كردستان من الرحالة والمسؤولين الأجانب وغيرهم في فترات مختلفة دونوا في كتاباتهم ديناميكية مكونات المجتمع الكردستاني بإيجابياته وسلبياته من وجهة نظرهم، بما في ذلك حجم الوجود اليهودي في كل منطقة، وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وعلاقاتهم مع المكونات الأخرى لاسيما الكرد المسلمين، وبالأحرى مع قياداتهم وشيوخهم القبليين والعشائريين.

فمثلا: يذكر الرحالة فريزر[٣] الذي زار المناطق الكردية سنة ١٨٣٤م إنه وجد الكُرد واليهود يتعايشون ويتعاونون معًا بشكل جيد[٤]. وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي زار الرحالة اليهودي بنيامين الثاني[٥] بعض المناطق

---

(١) للمزيد ينظر إريك براوَر، ص ص٢٦٧-٢٧٢.

(٢) فرهاد عوني، ص١٨. وللمزيد حول هذه الصور الاجتماعية يراجع علي شيت، ص ص٧٨-١٣١.

(٣) رحالة اسكتلندي (١٧٨٣-١٨٥٦م)، قام بعدة رحلات إلى المشرق ونشر كل رحلة في كتاب. ينظر:

FRASER JAMES BAILLIE – Encyclopaedia Iranica (iranicaonline.org)

(4) Baillie Fraser, J., Travels in Koordistan and Mesopotamia, Vol 1, London 1840, p163.

(٥) رحالة روماني من مالدوفيا (١٨١٨-١٨٦٤م)، اهتم بالبحث عن عشائر الأسباط العشرة المفقودة، فقام بعدة رحلات، منها إلى آسيا الصغرى والعراق وفارس ...إلخ ونشرها في كتب. ينظر كتابه:

Benjamin II, J. J., Eight Years in Asia and Africa from 1846 To 1855, Hanover 1859, pp (iii-v)

الكردية، مثل أورفه وديار بكر وماردين ودهوك وأربيل وروانـدوز وكركوك وغيرها[١]، وكتب أن اليهود فيها يعيشون في مناطقهم الخاصة أحرارًا نوعًا ما[٢]، وأشار إلى ظروفهم التي رآها أحسن من ذي قبل، وأن كثيرًا منهم أثرياء جدًا، خاصة تلك العوائل المهتمة بالزراعة التي تمتلك الأرض وقطعان الماشية. وهذه الحالة لا تمنع حدوث بعض المشكلات الحياتية الاعتيادية التي تنشب بين أيّ فرد وآخر، وسرعان ما يتم تداركها بمعاقبة المذنب وأخذ الحق للمعتدَى عليه[٣]. وقد رصد الرحالة الأجانب عددًا من هذه المشكلات في كتاباتهم[٤].

تشير روايات بعض الرحالة إلى أن أوضاع يهود كردستان تحت الحكم العثماني كان أكثر استتبابًا وأمنًا وحرية من أيّ وقت مضى[٥]. ويلخص بنيامين الثاني الأمر بأنه كلما تمكّن يهود كردستان من المهن الصناعية والحرفية التي يحتاجها المجتمع الكردستاني كلما ازدادوا احترامًا وتقديرًا بين الكرد[٦]، وهو ما تؤكده مصادر يهودية، وأضافت: أن يهود كردستان لم يتعرضوا لأي إبادة من قبل الكرد[٧].

---

(1) Ibid, pp 51,189.

(2) Ibid, p 62.

(3) Ibid, pp 68, 77.

(٤) ينظر الكتب التي كتبت عن يهود كردستان، لاسيما التي كتبها يهود، كالمصدرين السابقين.

(5) Hayyim, J. Cohen., op. cit, p4.

(٦) لتفاصيل ما كتبه الرحالة بنيامين الثاني يرجع كتابه المذكور أعلاه، ص ص٥١-١٠٨.

(7) Mardean Esaac, Op. Cit.

يقول علي سيدو الگوراني[١] الذي زار جنوب كردستان عام ١٩٣١م أن يهود زاخو أكثر حرية وتسامحًا من غيرهم[٢]. ويذكر مردخاي زاكن أن الرحالة برافر الذي زار كردستان عام ١٩٣٣م قال: «إن العين الخبيرة فقط يمكنها أن تميز بين يهود الجبال وجيرانهم الكرد»[٣]. أي إن اليهود أصابهم نسبيًّا ما يمكن أن أُسَمّيه "التكريد" في العادات والتقاليد.

ومما يؤكد على اندماج اليهود مع الكرد: أن وفدًا من يهود ريف كردستان – قرية ديانا– زار متصرف[٤] أربيل في أربعينات القرن العشرين بمعية مسؤول يهود أربيل (صالح يوسف نورئيل)[٥] لأجل مساعدتهم في الهجرة إلى فلسطين، لكن المتصرف لم يصدق أنهم يهود؛ حيث كانوا يشبهون تمامًا كُرد الريف. قال صالح يوسف نورئيل للمتصرف: «أود منكم أن تعطوا الأوامر بإحضار هؤلاء اليهود إلى أربيل». سأله المتصرف: «عمن تتحدث»؟ فأشار بيده لمن معه من اليهود، فقال المتصرف: «لا يمكن أن يكونوا يهودا.. كيف

---

(١) أردني من أصول كردية، من دياربكر التي يسميها الكرد "آمد"، ولد عام ١٩٠٧م، وتوفي ١٩٩٢م. تولى عددًا من المناصب المهمة في الأردن.

(٢) علي سيدو الگوراني: من عمّان إلى العمادية أو جولة في كردستان الجنوبية، الطبعة الثانية، دار البشير–عمّان ١٩٩٦م، ص ص١٤٠ ، ١٦٠.

(٣) مُردخاي زاكن، ص ص٢٤٩–٢٥٠.

(٤) المتصرف موظف إداري على رأس المتصرفية أو اللواء أو السنجق، يُعين بأمر من السلطان العثماني. وكانت كل ولاية تتكون من عدة متصرفيات، وكل متصرفية تنقسم إلى عدة أقضية، وكل قضاء يُقسم إلى عدة نواحٍ، وكل ناحية إلى عدة قرى. وقتذاك كانت متصرفية أربيل تابعة لولاية الموصل. ينظر علي شاكر علي: ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر دراسة سياسية إدارية اقتصادية، دار غيداء –عَمّان، الطبعة الأولى ٢٠١١م، ص١٠٩. حيدر علوان حسين: الإدرة في الدولة العثمانية، بحث منشور في مجلة "التراث العلمي العربي"، جامعة بغداد، العدد الأول ٢٠١٢م، ص٣٣١.

(٥) هشام فوزي حسني عبدالعزيز، ص٩٩.

لهم أن يكونوا يهودًا؟»؛ إذ كان لباسهم كرديًّا، ولغتهم كردية لا يعرفون غيرها[١].

وبخصوص الأنشطة الاقتصادية التي كان يزاولها يهود كردستان[٢]، فكانت ترتبط بالبيئة التي يعيشون فيها؛ بمعنى أن هناك تباينًا نسبيًّا بين أنشطة المقيمين في القرى عن نظرائهم المقيمين في المدينة، وهذا شأن كل مواطني كردستان؛ فيهود القرى يزرعون الحقول والكروم والبساتين[٣]، ويعتنون بالحيوانات، ويحيكون البزات الكردية التقليدية[٤]، ويصنعون البُسط[٥]. ولاشك أن هؤلاء وذراريهم كانت لهم بصمة قوية في المجال الزراعي في إسرائيل بعد هجرتهم إليها.

أما يهود المدن فكانت التجارة بأنواعها، لاسيما الذهب[٦] والأقمشة الصوفية والحريرية[٧]، وبعض الصناعات اليدوية كالحياكة والصباغة، ديدنهم[٨]. وكذلك ما لا يقوم المسلمون به؛ حيث كانوا يتمتعون بحرية في

---

(١) مردخاي زاكن، ص ص١٧٥، ٢٤٩ هامش(٥).

(٢) خصص علي شيت الفصل الأول (ص ص٢٢-٧٧) من دراسته "اليهود في الموصل ١٩٢١-١٩٥٢م" التي أشرنا إليها سابقًا للنشاط الاقتصادي لليهود في ولاية الموصل (التي كانت أغلب مناطق كردستان تابعة لها إداريا وقتذاك)، متناولاً حرفهم، ومهنهم، وأملاكهم، وتواجدهم في المؤسسات الحكومية.

(3) Mardean Esaac, Op. Cit.

(٤) مردخاي زاكن، ص١٧١. صلاح الدين مجيد علي زنكنة، ص٦٣.

(5) Raphael Patai, op. cit, p304.

(٦) يذكر أن أول من فتح محلا للصاغة في كركوك يهودي يدعى (كه وري). ينظر: صلاح الدين مجيد علي زنكنة، ص٧٣.

(٧) وليس بدج: رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد الجميل، جـ١، بغداد ١٩٦٦م، ص١٣٥.

(٨) لتفاصيل عن ذلك ينظر إريك براوَر: يهود كردستان، ص ص١٥٢-٢٦٤.

إنتاج الخمور في العمادية وبهدينان والسليمانية[١]، ولم يمنعهم الكرد مع أن إنتاجها وبيعها محرم في الإسلام[٢].

وعن أعداد يهود كردستان فإن الإحصاءات تختلف من جيل لجيل ومن منطقة لمنطقة كما ورد فيما دونه الرحالة الأجانب الذين زاروا هذه المناطق على فترات متباعدة، وفي التقارير التي أعدتها بعض الدول الأجنبية[٣]، لكن يلاحظ على إحصاءاتهم عدم الدقة واللاشمولية بين مبالغة أحيانًا (خاصة إذا كان الرحالة يهوديًّا) وبين تركٍ أحيانًا لعدم قيامهم بزيارة كل أماكن اليهود في قرى ومناطق كردستان.

فمثلا يذكر المؤرخ الإسرائيلي مُردخاي زاكن أن عددهم في كردستان العراق قبيل هجرتهم الجماعية إلى إسرائيل عامي ١٩٥١-١٩٥٢م بلغ نحو خمسة وعشرين ألفا، يتوزعون على مائتي قرية وعدد من المدن في كردستان العراق من زاخو ودهوك وعقرة والعمادية وزيبار وأربيل والسليمانية وكركوك، وكذلك الموصل[٤]، بينما تذكر المصادر العراقية أنهم بلغوا في الوقت نفسه طبقًا لإحصاء ١٩٤٧م نحو ١٤٥٠١ نسمة من أصل ١١٨٠٠٠ نسمة في عموم العراق، موزعين كالآتي: ٣١٠٨ في أربيل، ٢٢٨٦ في السليمانية، ٤٠٤٢ في كركوك، ٥٠٦٥ في دهوك والمناطق الكردية في نينوى[٥].

---

(١) كلها مناطق كردية تتبع إقليم كردستان العراق حاليا، فالعمادية قضاء، وبهدينان منطقة، والسليمانية محافظة.

(٢) مُردخاي زاكن، ص٣٩. علي شيت، ص٢٥.

(٣) للاطلاع على بعض الإحصاءات ينظر: صلاح الدين مجيد علي كريم الزنكنة، ص ص٢٢-٢٦، ٣٤-٣٥، ١٠٢.

(٤) مُردخاي زاكن، ص ص٣٣-٣٤.

(٥) سعد سلمان عبدالله المشهداني، النشاط الدعائي لليهود في العراق ١٩٢١-١٩٥٢م، مكتبة مدبولي-القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ص١٨٩-١٩٥.

على أية حالٍ، فإن يهود كردستان العراق قبيل هجرتهم الجماعية إلى "إسرائيل" عامي ١٩٥١-١٩٥٢م[١] كانوا يشكلون أصغر أقلية غير مسلمة في كردستان. وحالياً أصبح عددهم محدودًا جدًا، إذ إن بعضًا ممن لم يهاجروا اعتنقوا الدين الإسلامي، وبعضهم بقى على يهوديته، لاسيما في شرق كردستان[٢].

أشهر العائلات اليهودية الثرية في كردستان:

حوت المصادر اليهودية والكردية أسماء لعائلات يهودية عديدة في كردستان، بزّ بعضها واشتهر بالغنى والثراء والنفوذ، ودُشّنت بينها وبين ملا مصطفى البارزاني مصالح متبادلة أوجدتها ظروف سياسية، ونتج عنها أوضاع سياسية جديدة. ومن هذه العوائل:

- عائلة موشي بنيامين: كانت تقطن منطقة سركانى وميرگه سور[٣] التابعة لنفوذ البارزانيين مع بعض العوائل اليهودية الأخرى، وكانت تشتهر بالتجارة، وأقامت صلات تعاون مع ملا مصطفى البارزاني مباشرة، ونالت احترامه وتقديره، لذلك لم تتخلف عن تقديم الدعم له ولمقاتليه إذا طُلب منها، كما كان البارزاني حريصًا على توفير احتياجاتهم حتى في وقت الحروب[٤].

---

(١) سبقت هذه الهجرات هجرات أخرى ليهود كردستان على مراحل متفرقة منذ القرن التاسع عشر بصورة فردية أحيانًا وبصورة شبه جماعية أحيانا في القرن العشرين تجاوباً مع الحركة الصهيونية. ينظر: إريك براو، ص ص٧٩-٨٠. شلومو نكديمون، ص٢٥. فرست مرعي، ص٥٧-٦٠.

(٢) صلاح الدين مجيد علي كريم الزنكنة، ص٩٤.

(٣) سركانى إحدى قرى قضاء جومان بمحافظة أربيل بكردستان العراق. أما ميرگه سور- Mergasor اسم قضاء تابع لمحافظة أربيل، وتقع في شمال شرقها، ومعناه "مروج جبلية". وقد زرتُ المنطقتين آخر مرة عام ٢٠١٦م.

(٤) مُردخاي زاكن، ص٢٦٦.

عائلة ميخائيل ميخائيلي: كانت تقطن عقرة[١] التي تكتب بالكردية "ئاكرى"، ثم هاجرت إلى شُنُو[٢]، وقام كبيرها (ميخائيل) بدور كبير في تقديم الدعم السياسي والاقتصادي واللوجستي لملا مصطفى البارزاني، كما قابله الأخير بالحماية والرعاية[٣].

– **عائلة خواجا خِنّو:** استقرت في قضاء عقرة، حيث كانت بها أقلية يهودية اختلفت أعدادها من وقت لآخر. وطبقا لإحصاء الحكومة العراقية لعام ١٩٤٧م فإن عدد اليهود بهذا القضاء[٤] بلغ نحو ١٠٠٤ نسمة، أما يهود مركز القضاء فقط فبلغ عددهم ٤٧٢ نسمة[٥]، وهناك مصادر أخرى قللت من نسبة هذا الإحصاء. أيما كان الأمر فإن يهود عقرة كانوا نشطين اقتصاديًا، يمتلك أكثرهم متاجر، وبعضهم امتهن صناعة السيوف الفضية والخناجر الكردية.

كان لعائلة خواجا خِنّو مكانة اجتماعية واقتصادية عالية في عقرة والمناطق المحيطة بها في إقليم كردستان، بل ربما على مستوى كل العراق، واستخدمت السلطات العثمانية بعض وجهائها لحلحلة بعض المشكلات مع مسؤولين كُرد. عملت العائلة بالتجارة والزراعة، وكان بعض وجهائها يمتلكون أراضي قرى بكاملها. ولمكانتها الاجتماعية والاقتصادية حاز بعض أفرادها العديد من المناصب المهمة في القضاء والمالية وغيرها. ولذلك توطدت

---

(١) عقرة قضاء تابع لمحافظة دهوك بكردستان العراق، وهي من المدن التاريخية والسياحية الخلابة بطبيعتها وبأخلاق قاطنيها، وقد زرتها عدة مرات، آخرهاب عام ٢٠١٦م.

(٢) إحدى المدن الكردية التابعة لإيران حاليًا والقريبة من حدودها مع العراق.

(٣) سيتضح تفصيل ذلك لاحقًا.

(٤) قضاء عقرة وقتها كانت يتبع محافظة الموصل، وتضم ثلاث نواحٍ، هي: السورجية، وبلغ عدد يهودها ٢٤٧، وناحية العشائر السبعة بلغ عدد يهودها ١٩٩، وناحية بيره كيره وبلغ عدد يهودها ٨٦. ينظر: سعد سلمان عبدالله المشهداني، ص١٩٠.

(٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

علاقاتها مع رؤساء القبائل والموظفين الحكوميين والعسكريين. وكان لها ديوانخانه لتناول الطعام والشراب وسماع الموسيقى والأغاني وغيرها للمترددين عليها من عقرة وغيرها من جميع الطبقات كل ليلة، ماعدا الجمعة من أجل السبت اليهودي(١).

من أشهر كبرائها "الياهو خواجا خِنّو" المتوفى سنة ١٩٤٣م الذي كان رئيسًا ليهود عقرة، وأقام صلات وثيقة مع أكابر زعماء عدد من القبائل الكردية، مثل: البارزانية والزيبارية والهركية والسورچية والگورانية(٢)، وتوطدت العلاقة أكثر مع ملا مصطفى البارزاني زعيم البارزانية التي كان يمتد نفوذها القبلي وقتها من شمال شرق عقرة وصولا إلى نهر الزاب الكبير. وبعد وفاته واصل أبناؤه النهج نفسه، واشتهر من أبنائه (داود/ديفيد) المتوفى سنة ١٩٧٧م، و(اسحق) المتوفى سنة ١٩٧٦م. وأدت مظاهر الاحترام التي لاقوها من البارزانيين إلى اعتبار مسؤولي مالية الجالية اليهودية بأنهم من رجال ملا مصطفى البارزاني(٣).

مما سبق، يتضح أن اليهود الذين كانوا في كردستان ليسوا من أبنائها الأصليين؛ وإنما هاجروا إليها من فلسطين منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وأنهم تعايشوا مع الوضع الجديد وتجاوبوا مع العادات والتقاليد الكردية مع الحفاظ على هويتهم الدينية في أغلب الأحوال، وأن علاقات ود وتعاون ومصالح متبادلة جمعتهم مع الكرد، وما كان يحدث من خلاف ونزاع هو من قبيل الأحداث الاعتيادية التي تظهر في أي مجتمع بين أبناء الإثنية والديانة

---

(١) مُردخاي زاكن، ص٩٢.

(٢) تنسب كل قبيلة إلى اسم المنطقة التي تعيش فيه: فالبارزانية نسبة إلى منطقة "بارزان"، والزيبارية نسبة إلى "زيبار"، والهركية نسبة إلى "هركي"، والسورچية نسبة إلى "سوروچ"، والگورانية نسبة إلى گوران"، وكل مناطف بإقليم كردستان العراق.

(٣) نفسه، ص٩٤.

الواحدة، سرعان ما يتدخل العقلاء والحكماء لتسويته. كما اشتهر يهود كردستان بالتجارة والمهن والحرف التي أثرت بعض عوائلهم، فأصبح لبعض أفرادها نفوذ ومناصب سياسية مهمة (عثمانيًّا وعراقيًّا بعد ذلك)، وكذلك كان لهم علاقات مشتركة مع بعض الزعماء الكرد، مثل ملا مصطفى البارزاني.

ثالثًا- مصطفى البارزاني ويهود كردستان في ظل التحولات السياسية.

١- موقف البارزاني من هجرة يهود كردستان إلى الكيان الصهيوني:

أثّرت التطورات السياسية في الشرق الأوسط على أوضاع اليهود واستقرارهم في بلدان المنطقة واستمرارية وجودهم فيها، بما في ذلك يهود كردستان والعراق وإيران وغيرها؛ حيث تاق بعضهم للعودة إلى فلسطين تجاوبًا سريًّا مع الصهيونية العالمية(١) التي كان لها وجود في العراق منذ بدايات القرن العشرين، ونشطت أكثر من خلال مؤسساتها بعد الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٧م(٢)، وأصبح لها مندوبون في بعض المدن الكردية، مثل خانقين(٣) وأربيل وكركوك(٤). كان بعضهم يردد: «كنا نصلي كل يوم من أجل العودة إلى القدس»(٥).

---

(١) تحدث سعد سلمان عبدالله المشهداني في كتابه: النشاط الدعائي لليهود في العراق ١٩٢١-١٩٥٢م عن ذلك باستفاضة، وإن كان قد ركز على اليهود الذين كانوا في المدن والقرى العربية بالعراق.

(٢) هشام فوزي حسني عبدالعزيز، ص ص٣٨-٤٥.

(٣) خانقين إحدى مدن محافظة ديالى في شرق العراق، وهي إحدى المدن المتنازع عليها بين الحكومة العراقية وإقليم كردستان حاليا طبقًا للمادة (١٤٠) من الدستور العراقي ٢٠٠٥م.

(4) Raphael Patai, Op. Cit, p304.

(5) Mardean Esaac, Op. Cit.

يقول "مردخاي" أحد اليهود الذين هاجروا من زاخو إلى إسرائيل: «عندما بدأ اسم دولة إسرائيل في الظهور في الأربعينيات، بدأ العرب يكرهوننا، لكن الكرد كانوا حياديين»[١]. ويعلق ماردين إسحاق على ذلك بقوله: «إن معاملة الكرد لليهود بلطافة متناهية مكنتهم من الهروب من كابوس العراق والعودة إلى إسرائيل، بعكس مالاقاه يهود بغداد من عداء مؤسَّسِي في السنوات التي سبقت هروبهم»[٢].

يضاف إلى ذلك، أن هناك يهودًا عراقيين فروا من عموم العراق؛ خوفًا من سياسات الحكومة العراقية تجاههم بعد إعلان الصهاينة قيام ما أسموه دولة إسرائيل، فهاجروا سرّا عن طريق إيران وتركيا وقبرص[٣]، وأحيانا عن طريق الأردن، وكان للمسؤولين الكرد – على رأسهم ملا مصطفى – دور، ليس في تسهيل هجرة يهود كردستان إلى إسرائيل فحسب، وإنما أسهموا بشكل ملحوظ أيضًا في تيسير هجرة يهود العراق بأمان من خلال حدود مناطقهم الكردية مع إيران بالتنسيق الكامل مع الحكومة الإيرانية والممثلين السياسيين والاستخباراتيين لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل في طهران[٤]. هذا ما جعل مردخاي وجيله المهاجر إلى إسرائيل يصف طرق تهريبهم بأنها كانت بمثابة: «ممر سحري أنشأه الكرد لهجرة اليهود بحرية إلى إسرائيل»[٥].

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(٣) مأمون كيوان: اليهود في إيران، دار بيسان – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ص٨٤. صالح حسن عبدالله: تهجير يهود العراق ١٩٤١-١٩٥٢م، أطروحة ماجستير أجيزت من كلية التربية جامعة تكريت ٢٠٠٣م، ص١٦٩. جدير بالذكر أن دراسة صالح حسن عبدالله بها جهد كبير في دور إيران في هجرة يهود العراق إلى فلسطين المحتلة.

(٤) تستحق هذه الفكرة بحثًا مستقلاً، حيث لم تُخصص لها دراسة علمية حتى الآن في حدود علمي.

(5) Mardean Esaac, Op. Cit.

٢- أسباب دعم مصطفى البارزاني ليهود كردستان في الهجرة:

تحدث عدد من يهود كردستان الذين هاجروا إلى إسرائيل عن العلاقات بين الزعماء البارزانيين واليهود الذين كانوا يقيمون في مناطق نفوذهم، سواء في المدن أو في الريف، ومنها العلاقة التي ربطت ملا مصطفى بالعديد من الأُسَر والعوائل اليهودية الشهيرة في كردستان. علمًا أن جُلّ هذه المعلومات وردت في مصادر يهودية، مثل كتاب مردخاي زاكن "يهود كردستان"، والتقرير الإسرائيلي العبري الذي أشرنا إليه في المقدمة، ومن خلال ما ورد فيها من معلومات نحاول أن نفهم ونفسّر أسباب مساعدة ملا مصطفى يهود كردستان في الهجرة إلى إسرائيل، وهو ما يمكن طرحه تحت عنوانين مترابطين، الأول: مساعدات سياسية واقتصادية وعسكرية من قبل يهود كردستان لملا مصطفى وحركته التحررية، والآخر: حماية وتأمين الوجود اليهودي في كردستان. وفيما يلي نلقي الضوء على جوانب من هذه المظاهر.

عسكريًّا، لم تتخلف عائلة موشي بنيامين عن تقديم الدعم لملا مصطفى البارزاني ولمقاتليه إذا طُلب منها، في المقابل كان البارزاني حريصًا على توفير احتياجاتهم حتى في وقت الحروب. فاليهود في هذه الأوقات كانت لهم أهمية كبيرة من عدة نواحٍ:

أولا- يستطيعون المرور في المناطق التي بها نزاع دون أن يحدث لهم شيء، بعكس المتنازعين، فكل منهما متربص بالآخر.

ثانيا- من المفترض أن اليهود لا علاقة لهم بالنزاع القائم؛ فهم ليسوا جزءًا عضويًّا في القبيلة، فلم يكونوا إذن متورطين في النزاعات أو الحروب.

هناك مواقف عديدة ليهود سركانى في دعمهم للبارزانيين، منها ما تم في اضطرابات ونزاعات عشرينات القرن العشرين[١]، وخلال الحركات الكردية

(١) لتفاصيل عنها ينظر عزيز الحاج: القضية الكردية في العشرينات. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

المسلحة عام ١٩٣٢م ضد الحكومة العراقية، التي يسميها الكرد "الثورة البازرانية الأولى"[١] بقيادة الشيخ أحمد البارزاني ومعه أخو ملا مصطفى البارزاني، إذ كانوا يستطيعون التحرك ذهابا وإيابًا، ونجحوا في مساعدة البارزانيين بالمؤن الأساسية وغيرها في وقت كان المحاربون الكرد عاجزين عن الذهاب إلى رواندوز أو عقرة[٢]. وفي الوقت نفسه كانت هناك رعاية من قبل ملا مصطفى لهم ولشؤونهم الخاصة كما سيتضح بيانه.

قبيل اندلاع القتال في الثورة البارزانية الأولى أخبر ملا مصطفى عائلة موشي بنيامين ويهود ميرگه سور بأنه يوشك أن تُعلن الحرب، وفي أثنائها لن يستطيع الكرد أن يجلبوا لهم قصّابًا (جزارا) خاصًّا من عقرة أو رواندوز كما اعتادوا أن يفعلوا أيام السلم. واقترح عليهم أن يجلبوا قصّابا يهوديًّا لهم، يقيم معهم في القرية، وحين ذاك يمكنهم تناول اللحم (الكوشير)[٣]، والقيام بالختان، فكيف لليهود أن يعيشوا بدون هذين الطُقسين؟ استجاب يهود ميرگه سور لنصيحة البارزاني، واستدعوا قصّابًا كبير السن يدعى "شيفان- Shevane يداه ترتجفان. بالإضافة إلى عمله قصابًا كان يُعلّم الأطفال اليهود الأبجدية العبرية وبعض الدراسات الدينية الأولية في الديانة اليهودية. ولذلك استمرت الحياة طبيعية بين يهود المنطقة أثناء الأعمال القتالية آنذاك[٤].

---

(١) لتفاصيل عنها ينظر مسعود بارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية، ص٢٣ وما بعدها.

(٢) مردخاي زاكن، ص ص٢١١-٢١٢.

(٣) الكوشير، بالعبرية (כשרות)، أي الطعام المتوافق مع الديانة اليهودية "الحلال"، فبحسب التوراة، يقوم الكوشير على الفصل بين منتجات الحليب ومنتجات اللحوم، إذ لا يصح الخلط بينهما، وكذلك تحريم بعض اللحوم كلحم الميتة، والحيوان غير المجتر كالخنزير، والذي ليس بحافره مفصل. ينظر إيمان الحياري: عادات اليهود في الأكل وأطعمتهم المحرمة، مجلة محطات، ٣٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٨م.

(٤) مردخاي زاكن، ص٢٢٠.

ومع تجدد المواجهة العسكرية بين الكرد والحكومة العراقية عام ١٩٤٣م فيما هو معروف لدى الكرد بالثورة البارزانية الثانية[١]، نشطت عائلة موشي بنيامين في توفير الذخيرة للبارزانيين بعد أن أنهى ملا مصطفى مدة لجوئه في السليمانية عام ١٩٤٣م[٢] وبدأ ثورته على النظام العراقي بعد اتحاده مع العديد من القبائل الكردية[٣]. وقتها كان مَلا مصطفى يقيم في الجبال مع قواته. وذات يوم أرسل رسولا إلى تابعه اليهودي (موشي بنيامين) في قرية ديانا[٤] يبلغه الذهاب إلى عمدة القرية، رئيس المسيحيين، ويطلب منه أن يَعُدّ للبارزاني ثلاثة أحزمة بعتادها من أجل البنادق. في خلال ساعة واحدة أعد موشي بنيامين المطلوب، ومعها ثلاث بدلات مستعملة لأن البارزانيين كانوا قد طلبوا ملابس مستعملة، حيث كان ملا مصطفى ينام في العراء، ساندًا رأسه إلى قطعة من الخشب[٥].

وصلت درجة العلاقة أن موشي بنيامين ومن معه من اليهود لم يكونوا يأبهون بمخاطر الملاحقة الشرطية؛ لأنهم كانوا دوماً يشعرون بأن عليهم مساعدة البارزانيين الذين أحبوهم وساعدوهم. وإذا ما سئل فسيقول: «إنه ملا

---

(١) لتفاصيل عنها ينظر فاضل البراك، مصطفى البارزاني...، ص٩٦ وما بعدها. مسعود بارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية، ص٨٥ وما بعدها.

(٢) بعد قضاء الحكومة العراقية على ثورات البارزانيين الأولى (١٩٣١-١٩٣٢م) اتبعت سياسة تشتيت زعمائهم بين الموصل والبصرة والسليمانية ليكونوا تحت الأعين، لعدم تمكنهم من إثارة المشاعر القومية الكردية. ينظر: عبدالفتاح بوتاني، ص ص١٧-١٨.

(٣) شيماء محمد صبحي: التحدي الكردي للعراق من استقلال العراق إلى توقيع اتفاقية الجزائر ١٩٧٥م، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي التابعة لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد (٢٦) لسنة ٢٠١٨م، ص٣٣٧.

(٤) تقع على بعد نحو ١١ كم شمال رواندوز.

(٥) مُردخاي زاكن، ص٢١٩.

مصطفى الذي أحبنا دومًا، ونحن نحبه. إنه حكمنا لسنوات عديدة... وإذا لم نقم بذلك من أجله فهل كانت لنا بدونه إمكانية تعلم الأبجدية العبرية؟»[١].

يعلل بعض الرحالة على تعاون الوجهاء اليهود والمسيحيين مع البارزانيين بأن قادة بارزان عبر تاريخهم كانوا يحصدون ثمرة حسن معاملتهم لرعاياهم، لذلك لا يوجد شخص مسيحي كان أو يهودي يمكنه الوشاية بالبارزانيين أو خيانتهم أو تسليمهم لأعدائهم[٢].

مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وبعد فشل الثورة البارزانية الثانية في العراق[٣]، كان ملا مصطفى وثلاثة آلاف من مقاتليه الكرد[٤] قد تركوا كردستان العراق متجهين إلى إيران؛ فرارًا من الضربات الجوية العراقية المدعومة بريطانيًّا[٥]، وفي ١١ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٤٥م[٦] وصلوا

---

(١) نفسه، ص٢١٩.

(٢) دبليو. آي. ويگرام – ادگار. آي. ويگرام: مهد البشرية.. الحياة في شرق كردستان، ترجمه جرجيس فتح الله، منشورات دار ئاراس للطباعة والنشر–أربيل، الطبعة الرابعة ٢٠١٠م، ص ص١١٧–١١٨.

(٣) اندلعت هذه الثورة بين عامي ١٩٤٣–١٩٤٥م، وسميت بذلك لانطلاقها من منطقة بارزان بقيادة ملا مصطفى البارزاني. للتفاصيل ينظر مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية، منشورات كاوا للثقافة الكردية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

(٤) يذكر أيوب بارزاني أن إجمالي العدد قارب العشرة آلاف، شاملاً العوائل من شيوخ ونساء وأطفال. ينظر كتابه "المقاومة الكردية للاحتلال ١٩١٤–١٩٥٨م"، فرنسا ٢٠٠٢م، ص٢٥٢.

(٥) عثمان علي: دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ١٨٣٣–١٩٤٦ دراسة تاريخية وثائقية، منشورات دار التفسير – أربيل، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص٧٠١. هوزان سليمان دوسكي "جمهورية كوردستان دراسة تاريخية سياسية"، مشورات دار "سپيريز" – دهوك، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص٩٩.

(٦) مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية، ص١٤٠.

المناطق الكردية في إيران التابعة للنفوذ السوفيتي، تلك المناطق التي كانت تئن من صراع دولي عليها كجزء من الصراع الغربي بين المعسكرين الشرقي والغربي على النفوذ في إيران ككل[١]. وأقاموا في شُنُو ونَگدَه وسَاوْجِبْلاگ[٢] بين عامي ١٩٤٥-١٩٤٦م[٣]. ومع قيام جمهورية كردستان[٤] عام ١٩٤٦م عُيِّن ملا مصطفى رئيسًا للأركان فيها برتبة جنرال[٥]، لكن مع انسحاب السوفييت من المنطقة نهاية السنة نفسها، واتفاقهم مع الإيرانيين سقطت جمهورية كردستان بعد حرب مع القوات الإيرانية، قُتل وجُرح فيها بعض قوات

---

(١) للمزيد حول هذا الصراع ينظر مهند سمير حسن: سياسة بريطانيا تجاه كرد إيران ١٩١٤-١٩٤٦م، رسالة ماجستير غير منشورة أجيزت من قسم التاريخ بكلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ديالي بالعراق سنة ٢٠١٣م، ص ص ١٢٨-٢١٨. ولاء حسن: العلاقات البريطانية الإيرانية ١٩٥١-١٩٧٩م، رسالة ماجستير غير منشورة أجيزت من كلية البنات جامعة عين شمس ٢٠١٩م، ص ٢٥-٢٧.

(٢) مدن كردية في شرق كردستان، تقع في الحدود الغربية لإيران حاليًا. ينظر عبد الرحمن قاسملو: كردستان والأكراد دراسة سياسية اقتصادية. الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٤.

(٣) مسعود البارزاني، ص ص١٤٠، ٢٠٤.

(٤) جمهورية قصيرة العمر، استمرت ١١ شهرًا (٢٢ يناير – ١٧ ديسمبر ١٩٤٦م) في شرق كردستان وعاصمتها "مهاباد"، برئاسة قاضي محمد الذي أعدم بعد سقوطها في ٣١ مارس ١٩٤٧م. واستطاع ملا مصطفى اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي، حيث لم يعد إلى العراق إلا عام ١٩٥٨م بعد سقوط النظام الملكي. للتفاصيل عن هذه الجمهورية ينظر: هوزان سليمان دوسكي، مرجع سابق. وكتاب "جمهورية مهاباد" لـ وليام إيغلتن الابن، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، منشورات دار الجمل-بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

(٥) شكيب عقراوي: سنوات المحنة في كردستان، مكتبة جزيري للنشر والتوزيع – دهوك، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، ص١٨٧. عثمان علي، ص ص٧٣٣-٧٣٤. هوزان سليمان دوسكي، ص١٠٦.

ملا مصطفى، وانسحب الباقي إلى شنو آخذين معهم أكثر من مائة أسير إيراني(١).

خلال تلك الظروف كان رجلا يهوديًّا من يهود كردستان العراق، وتحديدًا من عقرة، اسمه "ميخائيل ميخائيلي" يعمل خيَّطًا، قد هاجر إلى مدينة شنو، وأقام هناك مع البارزانيين خلال مدة بقائهم فيها، وتقرّب من ملا مصطفى، وأصبح الخياطَ الخاص له ولذويه(٢).

في نظر ميخائيل ميخائيلي كان ملا مصطفى رجلا عظيمًا. التقى به عشرات المرات، هذا أمر طبيعي؛ فلابد من أخذ المقاسات قبل أن يقوم بالخياطة، ثم القيام بالتجربة الأولية (البروفا) لما حاكت يداه. يصف ميخائيل كيف اعتاد لقاء ملا مصطفى، وكيف توطدت علاقة متينة متبادلة بين البارزاني والجالية اليهودية في شنو. كما أن معايشة ميخائيل لهذه الأحداث جعلته شاهدًا على مرحلة مهمة من مراحل الحركة الوطنية الكردية، بل كان يساعد البارزانيين ماديًّا ولوجستيًّا(٣).

يُبيّن ميخائيلي أنه عقب سقوط جمهورية كردستان اندلعت حرب بين الجيش الإيراني والقوات الكردية في شنو، وهرب كثير من سكانها، ولكن بقي فيها اليهود: «كنا يهود ملا مصطفى البارزاني»(٤). وتعرضوا لبعض المخاطر، لكن علاقة ميخائيل القوية مع ملا مصطفى كان لها دور مهم في حماية الكرد لهم.

---

(١) مسعود البارزاني، ص١٣٨ وما بعدها.

(٢) للاطلاع على ملابسات وظروف هجرته هذه ينظر: مردخاي زاكن، ص ص٢٥٢-٢٥٤.

(٣) مُردخاي زاكن، ص١٦٠.

(٤) نفسه، ص١٦١.

وفي شأن حماية ملا مصطفى لهؤلاء اليهود، يصف ميخائيل حالة الجنود الكرد بعد عودتهم من مهاباد وموقف البارزاني من سلوكيات بعضهم بقوله: «عندما رجع رجال ملا مصطفى من مهاباد كانوا جياعًا، وفي البداية استولوا على الطعام والبضائع من منازل اليهود، ولكنهم لم يأخذوا أموالا». حينها استنجد ميخائيل بملا مصطفى الذي أمر رجاله بألا يزعج أحد اليهود، وعيّن حُراسًا على مناطقهم. يقول ميخائيل: «يقوم اثنان من رجاله كل ليلة بدورية في منطقة اليهود، وأحيانًا يدور أحدهم في الساحة حول المنطقة التي يعيش فيها اليهود، ويأتي الآخر إلى منزلي لأنني كنت اليهودي التابع للملا مصطفى»[١].

على جانب آخر، كان يهود شنو يخزنون القمح والحبوب في ساحات خاصة، حيث يحفرون الأرض قليلا ويضعون القمح في باطن الأرض، ثم يغطونه بالقش والطين لإخفائه عن العيون جراء أزمة الحبوب الطاحنة في إيران وقتذاك[٢].

خلال الحرب الإيرانية الكردية عاد مئات من القوات البارزانية إلى شنو، وهم يعانون من التعب والإرهاق والجوع حالهم حال أغلب قاطني تلك المناطق من إيران[٣]. وذات يوم – كما يروي ميخائيلي – جاءه يهودي يدعى سلمان وأولاده يركضون ويصرخون طالبين العون والمساعدة، يقولون بالكردية: «هاوار.. هاوار»، أي «النجدة.. النجدة». وكانوا قد قاموا بتخزين طِنَّيْن أو ثلاثة من القمح، وقام بعض الجنود الكردية بنهبها. هدأهم ميخائيلي واعدًا إياهم بالمساعدة. وقام بالاستنجاد بملا مصطفى، فأرسله الأخير إلى منزلهم

(١) نفسه، ص١٦١.

(٢) عبدالهادي كريم سلمان: إيران في سنوات الحرب العالمية الثانية، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة بالعراق ١٩٨٦م، ص ص١٠٧-١٠٨.

(٣) نفسه، ص١١١.

برفقة جنديين كرديين لحماية المكان والحفاظ على ما فيه، لكنهم وجدوا النهابين قد فروا بعد أن أخذوا نصف المخزون(١).

وفي يوم شتوي قارص غطى الثلج الأرض في شنو، اتخذ رجال البارزاني جميع مساجد المدينة، في حين كانوا يحتفظون بالأسرى الإيرانيين في أكبر مساجدها، وكان هناك قلة من محاربي البارزاني لم يجدوا لهم مأوى سوى كنيس اليهود في شنو. حينها سمع ميخائيلي صرخةَ نجدةٍ قيلت له: إن محاربي البارزاني قد اقتحموا الكُنيس الوحيد في شنو، وكانت حجتهم أن الكُنيس لا يمكن أن يظل فارغًا في حين تم استخدام جميع مباني المدينة العامة الأخرى. استنجد ميخائيلي بملا مصطفى قائلا: «نحن نمتلك كُنيسًا واحدًا، أولادنا يدرسون فيه، ونحن الشباب لا نذهب للصلاة هناك. وقام رجالك باحتلاله، فنرجوا منك إخراجهم منه»(٢). استجاب ملا مصطفى لطلب ميخائيلي، وأرسل معه رجلين في الحال لإخراج رجاله من الكُنيس الذين دخلوه بلا إذن. وبالفعل التزام الجنود الكرد بأوامر قائدهم.

كان من ضمن أسرى الجيش الإيراني لدى القوات الكردية في شنو جنود يهود إيرانيون محتجزون في مسجد شنو الكبير كما أشرنا. علم ميخائيلي بذلك، فطلب من رئيس الحراس – التحدث إليهم. فسُئل عن السبب فأجاب: «أنا أقوم بأعمال كثيرة من أجلكم (أي الكُرد)، فأنا أعدّ لكم السراويل وغيرها، فإذا ما كان هناك أي يهودي بالصدفة أستطيع آخذه وأعلِّمه صنعتي»(٣).

(١) مُردخاي زاكن، ص١٦١.

(٢) نفسه، ص١٦٢.

(٣) نفسه، ص١٦٣.

وافق رئيس الحراس، وسمح لميخائيلي دخول المسجد. وبالداخل سأل أحد الضباط ميخائيلي عن مراده بلغة تشبه اللهجة الكرمانجية الكردية[١]، فأجابه أنه ربما يوجد بينكم بعض اليهود، فرد عليه الضابط بأنه يوجد واحد يدعى "اليعازر" وأحضره له. فسأله ميخائيلي: هل أنت يهودي؟ قال نعم. سأله: كيف أقرر أنك يهودي؟ أجاب بالعبرية: «بى امِت ها-تورا»، أي «بحق التوراة». وهو قسم نموذجي يهودي يستخدمه يهود إيران. وأضاف الجندي الأسير: أنا يهودي، وأخرج كتابًا صغيرًا للمزامير من جيبه، وأخذ يرتل. هنا يقول ميخائيلي: انتفض قلبي ومال إليه، بل أردت أن أبكي من أجله، وسألته: هل يوجد يهود آخرون؟ فعلم أن هناك آخرَينِ، أحدهما يسمى إبراهام من يهود فلسطين، والآخر يسمى "زيون-Zion" من يهود طهران. اصطحب ميخائيلي ثلاثتهم إلى بيته، وكانت ملابسهم مليئة بالبراغيث، لأن السجناء كانوا مكدسين ويعيشون في ظروف غير صحية. فأخذوا حمّامًا، وغسلوا ملابسهم بالماء المغلي حتى يتخلصوا من تلك الحشرات. سألهم ميخائيلي: ماذا كنتم تأكلون؟ أخرج أحدهم منديلاً به بعض حبوب القمح. لم يعلمهم ميخائيلي الخياطة، واعتقد أن مجرد تحريرهم عمل طيب. ظلوا في منزله ثمانية عشر يومًا حتى توصلت الحكومة الإيرانية مع القوات الكردية إلى صفقة تبادل، فسلمهم ميخائيلي إلى قوات مَلا مصطفى البارزاني بعد أن أمدّهم بزاد الطريق طالبًا الاهتمام بهم[٢].

تشير تلك الواقعة إلى مستوى عمق المصالح المتبادلة بين ملا مصطفى ويهود كردستان عامةً وميخائيل ميخائيلي خاصةً؛ حيث يُسمح لليهود الثلاثة

---

(١) إحدى اللهجتين الرئيسيتين للغة الكردية (السورانية والكرمانجية)، ويتحدث بها كرد سوريا وتركيا والمناطق الشمالية من إقليم كردستان العراق.

(٢) مُردخاي زاكن، ص ص١٦٣-١٦٤.

بالذهاب إلى بيت ميخائيلي في حين ظل بقية الأسرى تحت الحراسة في المسجد.

على الجانب الاقتصادي، كان تردّيه أحد عوامل سقوط مهاباد عاصمة جمهورية كردستان التي أشرنا إليها سابقًا، فـ شنو والمناطق المحيطة بها كانت مُجهدة نتيجة شحّ المواد الغذائية، وقصفها بالمدافع، وحصارها وعزلها عن محيطها(١).

كان مما شحَّ الشايُ والسكرُ، والكرد معروفون باحتسائهم الشاي بكثرة، ويهود كردستان مهتمون بتجارة الشاي والمشروبات(٢). وذات يوم جاء ميخائيلي رسولٌ يستدعيه إلى ملا مصطفى في الديوانخانه، فلبى الدعوة. وهناك قال له البارزاني: «اجلس يا معلم .. اسمع يا معلم .. لم أشرب شايًا منذ ثلاثة أيام، وأبنائي كذلك». ردّ ميخائيلي بأنه لم يكن هناك مقدرة لأي أحد مغادرة شنو، وأن سكانها قد فرّوا، ولم يبق فيها سوى القوات البارزانية واليهود، ولم يتبق لهم شاي وسكر. فردّ عليه البارزاني: «إذا كنت المعلم الجيد حاول أن تجد لي بعض الشاي والسكر.. خذ من المال ما تريد، حتى لو أحضرت كليلوجرامًا واحدًا لي من السكر بمائة تومان». فشكره ميخائيل وقال: «مالي كله جاءني منك، فكيف لي أن آخذ منك مالا؟ بعد أن أتمكن من توفير المطلوب نتحدث في كم يساوي»(٣).

خرج ميخائيلي من عنده ليجمع يهود شنو مذكرًا إياهم أنه بفضل ملا مصطفى توفرت حمايتهم، ولم يعد الكرد يقتحمون منازلهم، وهو اليوم في حاجة لمساعدتكم، وطلب منهم عدم شرب الشاي وكذا عدم استخدام السكر لمدة يومين. بعدها يُقدِّم له كلُّ بيتٍ يهودي صندوقًا من الشاي والسكر.

---

(١) عثمان علي، ص ص ٧٤٨-٧٥٠. مهند سمير، ص٢١٨.

(٢) علي شيت، ص٨٩.

(٣) مُردخاي زاكن، ص١٦٤.

وبالفعل أصبح لدى ميخائيلي ما بين عشرة إلى خمسة عشر كيلوجرامًا من السكر وأربعة أو خمسة صناديق من الشاي، علمًا بأنه لم يكن في شنو سوى عشرة بيوت قادرة على تقديم شيء ما، أما الباقي فكانوا فقراء(١).

يقول ميخائيلي: إنه لم يذهب للبارزاني يومَ أن تجمّع لديه المطلوب، انتظر لليوم التالي لكي يبدو أن ما طُلب منه كان صعبًا! دخل على ملا مصطفى حاملا الشاي والسكر فوق ظهره، وجلس بين يديه قائلا: «لقد تعبت جدا في البحث من قرية لقرية لأجلب لك ذلك»!! سأله البارزاني: «كم كلف»؟ أجاب: «قربانك.. كيف آخذ منك مالاً؟ أتمنى لك النجاح. وحتى لو حُرق منزلي في أثناء القتال فلن آبه لشيء». فقال له البارزاني: «يا معلم.. لقد قمت بواجبك»(٢).

إلى هذا الحد كانت درجة العلاقة بين ملا مصطفى ويهود كردستان، والتي كسب هؤلاء اليهود من ورائها تأمين وحراسة الكرد المسلمين لهم في ظل تلك الظروف الصعبة عقب الحرب العالمية الثانية، ثم مساعدتهم على الهجرة إلى الكيان الصهيوني. يقول ميخائيلي: «إلى أن ترك البارزاني (شنو) كان يأتي كل ليلة اثنان من جنوده المسلمين لحراسة منطقة اليهود، وفي كل ساعة كنت أرسلهم ليراقبوا الشارع»(٣).

لم تمر مواقف ميخائيل دون ثمن من قبل السلطات الإيرانية؛ فعقب مغادرة ملا مصطفى مدينة شنو وسيطرت القوات الإيرانية عليها، أوشى أحدهم لمسؤول أمني إيراني أن ميخائيل مهاجر غير شرعي قادم من العراق، وأنه يهودي تابع لملا مصطفى البارزاني. يقول ميخائيل: إنه في يوم سبت أحاطت الشرطة بيته، ودخل ضابطان إيرانيان وسألاه:

---

(١) نفسه، ص ص١٦٤-١٦٥.

(٢) نفسه، ص١٦٥.

(٣) نفسه، ص١٦٥.

هل أنت ميخائيل؟

قال: أجل.

هل أنت يهودي تابع للملا مصطفى؟

قال: لا.

فقالا له: لا تكذب، لقد كنت معهم، ولديك أسلحة، وكنت تعد الملابس لهم، أنت من بارزان.

قال لهما: جئت من سنة إلى هنا قبل مجيئهم. ولم آت من بارزان. جئت إلى هنا فقط لأعمل وأكسب عيشي. كنت أعدّ لهم الملابس، ولكنني إذ لم أفعل قتلوني.

قالوا له: هناك شائعات أنك تخبئ أسلحة في بيتك، أعطها لنا، وإلا نفتش ونجدها ونلقيك في السجن.

قال: صدقوني ليست لدي أسلحة، وإذا لم تصدقوني فيمكنكم تفتيش البيت. يضيف ميخائيلي: إنهم جلبوا مجرفات ومعازق ليحفروا الأرض، وكانت أرضية بيته كلها مفروشة بالبسط والبطاطين الصوفية. فقال للضابط: إذا وجدت أسلحة يمكنك فعل أي شيء تريد، وإذا لم تجد أطالب بأن تعيدوا منزلي على حاله كما هو الآن.

يصف ميخائيلي حالهم: وجدوا أنني لست خائفًا، فقرروا عدم الحفر. ألقوا بي في السجن. ولم ينفعه قوله للضابط: إنه أطعم وكسا ثلاثة جنود فارسيين يهود (أسرى الحرب) لمدة ثمانية عشر يومًا. وقتها طلب من رجل شيعي فارسي يدعى (عزمي) أن يبلغ الضابط أن: «جميع الحكومات مهذبة ماعدا الحكومة الإيرانية»[١].

في السجن رأى ميخائيلي عددًا من مسلمي شنو الذين كانوا رهن التحقيق بخصوص ما حدث عندما كان البارزانيون يسيطرون على المدينة. وظل

(١) نفسه، ص١٦٦.

الأمر كذلك – وهو اليهودي الوحيد بينهم – حتى قام الحاخام رافائيل وأزيكيل ويهوشوا وجابرييل (من يهود شنو) بإخبار الضابط الإيراني بأن ميخائيل كان مخلصًا، وأنه ساعد سجناءهم.. وهكذا بعد ساعتين أطلقوا سراحه(١).

مع ذلك، ظل ميخائيل خاضعًا للاستجواب؛ يأتي ضابط شرطة كل يوم إلى الكُنيس ويقتاده وأخاه وابن أخيه إلى مركز الشرطة يسألونهم: لماذا تركوا العراق. وكان الجواب الدائم لأسباب اقتصادية. وحاول ميخائيلي أن يوضح لهم أنه لم يكن هناك شخص يمكنه بسهولة عبور الحدود. ويظل التحقيق حتى منتصف الليل؛ إذ يقوم ميخائيلي بإعطاء تومان للضابط ليتركه يرحل(٢).

استمر ذلك الروتين يوميًا طيلة شهر. يقول ميخائيلي: «كل ما أكسبه يذهب إلى جيب الشرطي»! وفي نهاية الأمر وصل إلى عنوان الضابط الشخصي لزيارته. فأعد له زيارة من بساط جميل كان قد أعده لنفسه، وأربعة أكياس من السكر، وغطاء صوفي زاهي الألوان. ولما التقى الضابط في بيته أعطاه مهدًا لطفله، فرحت به زوجته. سأله الضابط: «لماذا أحضرت كل هذه الأشياء»؟ أجاب ميخائيلي: «لقد مرّ شهر كامل لا أستطيع العمل لأكسب قوت يومي، أنا لست لصًّا. لقد جئت هنا فقط لأعيش، وإذا لم يكن ذلك ممكنًا يمكنك أن تبعدني». فوعده الضابط أنه سوف يكتب رسالة إلى المسؤولين في طهران باسم الأسر اليهودية الثلاث التي جاءت من العراق إلى إيران، وسيطالب أن يتم منحهم جوازات سفر إيرانية وهويات شخصية ليصبحوا مواطنين إيرانيين. رُفِضتْ رسالة الضابط، وهطلت الثلوج بغزارة عطلت جميع

(١) نفسه، ص ص١٦٦-١٦٧.

(٢) كانت الرشوة سمة من الفساد المتفشي في إيران وقت ذلك. ينظر عبدالهادي سلمان، ص١١٤.

وسائل النقل، بل ومنح ميخائيلي وأسرته تمديدًا بالإقامة ثلاثة أشهر، ساعدته لإعداد السفر إلى طهران، ومنها بعد مدة إلى الكيان الصهيوني(١).

هكذا، فإن كلا من ملا مصطفى ويهود كردستان كانا بحاجة إلى بعضهما البعض في تلك الأوقات العصيبة عليهما؛ فالأول وفّر للثاني الحماية والحراسة والتسهيل للهجرة، والثاني قدّم دعمًا اقتصاديًّا وسياسيًّا وعسكريًّا بما يضمن ما تعهد به الأول.

لم يقتصر هذا التعاون المشترك على الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية؛ وإنما تغلغل في مضامين الخصائص الاجتماعية بما يخدم الأهداف العليا للطرفين. وللتدليل على ذلك ما يرويه أحفاد "خواجا خِنّو" أنه في بدايات القرن العشرين حاولت السلطات العثمانية استغلال العلاقة الطيبة بين ملا مصطفى البارزاني وخواجا خِنّو، وطلبت من الأخير التوسط بينها وبين الشيخ عبدالسلام البارزاني(٢) الذي ثار على الحكم العثماني مطالبًا بإصلاحات اجتماعية واقتصادية وسياسية لكُرد المنطقة؛ لإثنائه عن مطالبه. يقول (آرييه گاباي(٣)) أحد أحفاد خواجا خِنّو، إنه عندما وصل جدّه وابنه (داود/ديفيد) إلى بارزان قوبلا بترحيب وتقدير من الجميع بما فيهم ملا مصطفى ذو الأحد عشر عامًا الذي تصادق مع ديفيد. يضيف آرييه گاباي أنه في أثناء الزيارة حان احتفال اليهود بعيد الهيكل، ووُجدت صعوبات تمنع "خواجا خِنّو" مغادرة بارزان، فبنوا له هيكلا، وأقاموا خيمة كبيرة له، وأعدوا

---

(١) مُردخاي زاكن، ص١٦٧.

(٢) الأخ الأكبر لملا مصطفى، ولد سنة ١٨٦٤م وتم إعدامه سنة ١٩١٤م. ينظر مسعود البارزاني، ص٢١.

(٣) گاباي في العبرية تعني "رجل الدين"، والمقصود به تحديدًا "رئيس الكنيس". وهو منصب ينحصر عادة في عائلات معينة تتميز بالثراء، ويتقلدونه بشكل وراثي. ينظر: إريك براوَر: يهود كردستان، ص٢٧٣.

وليمة كبيرة، وأقبل يهود بارزان ليتناولوا الطعام الذي تم إعداده وفقًا للشعائر والطقوس اليهودية[١]. لكن لم تنجح تلك الوساطة؛ إذ جردت السلطات التركية حملة عسكرية انتهت باعتقال السيد عبدالسلام البارزاني وإعدامه في الموصل عام ١٩١٤م[٢].

يورد كل من هيرتزل بن ديفيد وماجد گاباي ابن أخو ديفيد، قصة أخرى تفيد أنه بعد الحرب العالمية الأولى أراد المندوب العسكري البريطاني زيارة الرؤساء البارزانيين، ورفض ضباط الشرطة المحلية مرافقته إلى بارزان قائلين له: لن تستطيع الذهاب بدون خواجا خينّو. وبالفعل رافق الأخير وابنه ديفيد المندوبَ البريطاني، ومعهم مفتي عقرة وقوة عسكرية[٣].

زادت أواصر العلاقة المتبادلة في أن يأخذ ملا مصطفى رأي أصدقائه من يهود كردستان فيمن يريد زواجها. يذكر أفراد عائلة خواجا خِنّو أنه بعد انتهاء زيارة ملا مصطفى لهم في عقرة عام ١٩٤٤م، رافقه ابنا خواجا خِنّو (ديفيد واسحق) لتوديعه، وعند وصولهم ساحة (ميدان) المدينة أمام مركز الشرطة انفرد ملا مصطفى بالأخوين بعيدًا عن الجمع قائلا لهما: تحدث معي حاجي قادر أغا زيباري حول الزواج بابنته، فماذا تقولان؟ رأى ديفيد أن يتزوج الشيخ أحمد أخت حاجي قادر أغا، ويتزوج ملا مصطفى ابنة محمود أغا، فطلب ملا مصطفى منهما تجهيز الذهب والجواهر، لكنهما أبديا صعوبة توفير ذلك، فأرسل أبوهما (خواجا خِنّو) مَن يُحضر ذهب ومجوهرات بناته (سليمة)

(١) للاطلاع على تفاصيلها ينظر: مُردخاي زاكن، ص ص١٠٣-١٠٤.

(٢) للاطلاع على تفاصيل ذلك ينظر: عبدالمنعم الغلامي: الضحايا الثلاث، بغداد ١٩٥٥م. متين فاضل طه، مرجع سابق.

(٣) مُردخاي زاكن، ص١٠٥.

زوجة ماجد گاباي و(منيرة) التي كانت قد توفيت آنذاك. وتم دفع هذا الذهب إلى الخطيبتين[١].

جدير بالذكر أن ملا مصطفى أخذ معه ذهبًا وجواهر عند زيارته أحفاد الخواجا خِنّو في إسرائيل بعد ثلاثين عامًا، أي عام ١٩٧٣م، وقدّم الذهب إلى سليمة بطريقة مهذبة ومتحضرة[٢].

في السنة نفسها (١٩٤٤م) توفي خواجا خِنّو، فحضر ملا مصطفى بنفسه إلى عقرة لتقديم واجب العزاء. وهناك أكد أمام رفقائه من الرؤساء القبليين على الرابطة القوية بين وبين أسرة خواجا خِنّو، وعلى ضرورة مواصلة حمايتها قائلا: «تعرفون جيدًا أن تلك الأسرة عزيزة على قلبي، وينظر الجميع إلينا وكأننا أسرة واحدة رغم اختلاف ديننا. أنا لا أريد أن يصيبهم أيّ أذى». في أثناء الزيارة، أهداه ديفيد خواجا خِنّو خنجرًا ذهبيًّا مرصّعًا بثلاثة فصوص ذهبية، ومسدّسًا تكريمًا له. يروي آرييه گاباي أن البارزاني قَبِل الخنجر فقط؛ على اعتبار أن ديفيد ربما يكون في حاجة إلى المسدس، وأن لدى البارزانيين ما يكفي من أسلحة[٣].

يعبر فائق گاباي (أحد أفراد عائلة خواجا خِنّو) عن شعورهم تجاه معاملة ملا مصطفى لهم أنهم كان يشعرون في كردستان أنهم مميزون، لا يشعرون بذلك الشعور العادي بالدونية الذي كان يشعر به اليهود تجاه المسلمين[٤].

خلال سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) واندلاع "ثورة بارزان الثانية" ضد الحكومة العراقية سنة ١٩٤٣م، قَلّت السلع الغذائية بشكل واضح في عموم العراق، فاتبعت الحكومة سياسة مركزية لمراقبة تجهيزات

---

(١) نفسه، ص١٠٦.

(٢) كانت هذه الزيارة الثانية لهما، إذ كانت الأولى عام ١٩٦٨م كما سيتضح بيانه لاحقًا.

(٣) مُردخاي زاكن، ص ص١٠٧-١٠٨.

(٤) نفسه، ص١٠٨.

الغذاء والبضائع الأساسية المعروفة باسم التموين تطبيقًا لسياسة الترشيد أثناء تلك الأزمة، بحيث يستطيع المدنيون شراء حصصهم وفق كوبونات تعدّها الحكومة(١).

وحدث أن خوّلت الحكومة العراقية ديفيد خواجا خِنّو توزيع الحصص الغذائية لسكان المنطقة بما فيهم البارزانيون، لكن مع اندلاع ثورة بارزان الثانية تغيّر الموقف، لكن ديفيد سلّم البارزانيين حصصهم بناءً على اتفاق سري بين ديفيد خواجا خِنّو والبارزانيين؛ حيث يقوم ديفيد بإعطاهم خمسين ألف حصة، ثم يُقدم شكوى إلى مديرية الشرطة ضد ملا مصطفى بأنه طلب –تحت تهديد السلاح– تسليح رجاله إلى جانب خمسة آلاف دينار عراقي، مما اضطر ديفيد إلى بيع بعض الحصص الأخرى في السوق السوداء، وسلّم المال لملا مصطفى البارزاني(٢).

بعد توقف الحرب العالمية الثانية واضطرار البارزاني إلى الانتقال إلى شرق كردستان في إيران ومن بعدها إلى الاتحاد السوفيتي، تم استدعاء ديفيد خواجا خِنّو للمثول أمام محكمة عسكرية في عقرة. وكان رئيس المحكمة عبدالله النعساني الذي كان على معرفة وثيقة بعائلة خواجا خِنّو ودائم التردد على ديوانخانها مع أنه كانت لديه ميول عدائية تجاه اليهود. وكان الادعاء قد اتهم ديفيد بتعاونه مع ملا مصطفى في بيع الحصص التموينية ومساعدته بهذا المال لشراء السلاح، واستغل الادعاء زيارات البارزاني لخواجا خِنّو، وإهداء خنجر له... إلخ من علاقات التعاون. لكن ديفيد دحض الاتهامات الموجهة إليه، ساعدته في ذلك الشكوى سالفة الذكر التي كان قد قدمها للشرطة ضد ملا مصطفى. وفي النهاية حكم القاضي ببراءة ديفيد رغم الأدلة

---

(١) عزيز حسن البارزاني: الحركة القومية الكوردية التحررية في كوردستان العراق ١٩٣٩–١٩٤٥م، منشورات دار سْبيريز–دهوك، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص ص٦٠–٦٩.

(٢) مُردخاي زاكن، ص ص١٠٩–١١٠.

الواضحة على مساعدته البارزانيين قبل وأثناء ثورتهم. ولربما ساعدت العلاقات الطيبة التي كانت تربط القاضي بعائلة خواجا خِنّو على إصدار الحكم المذكور، بل إن البعض ذكر أن القاضي قبيل المحاكمة بقليل زار منزل ديفيد وجلس في البار محتسيًا بعض العرق(١).

هكذا كانت علاقة مَلا مصطفى البارزاني بعائلة خواجا خِنّو وعلاقة الآخيرين به وبالبارزانيين عمومًا حتى بعد لجوء ملا مصطفى إلى الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٤٧م بعد سقوط جمهورية كردستان. حيث يُذكر أن زوجة البارزاني عادت إلى العراق حاملة رضيعها (مسعود) الذي كان قد وُلد في ١٦ أغسطس/آب ١٩٤٦م، لتحل على بيت والدها (محمود أغا الزيباري). ومن آن لآخر كانت عائلة خِنّو يتسلمون رسائل تصلهم من ملا مصطفى عن طريق بعض الرسل كما يذكر آرييه گاباي بن اسحق، وكان هؤلاء يحملون الرسائل إلى أسرته ليلاً بعيدًا عن أعين الشرطة، كما كان البارزاني في تلك الرسائل يطلب من عائلة خواجا خِنّو الاهتمام بابنه مسعود. ومن آن لآخر كان اسحق يرسل الهدايا والحلوى والملابس الجيدة إلى الطفل مسعود. ويذكر آرييه گاباي أن زوجة ملا مصطفى قد حاكت زوجين من الجوارب لولده الذي ظل يحتفظ بهما(٢).

رابعًا - علاقة ملا مصطفى بيهود كردستان بعد الهجرة للكيان الصهيوني:

بين عامي ١٩٦٥-١٩٧٤م كانت هناك علاقات كردية إسرائيلية، تلقت خلالها الحركة الكردية في العراق دعمًا لوجستيًا وعسكريًا إسرائيليًا(٣) أثناء ما

---

(١) نفسه، ص ص١١١-١١٢.

(٢) نفسه، ص١١٣.

(٣) هذا الموضوع جدير بأن تُخصص له دراسة أكاديمية قائمة على مصادر وثائقية أصلية، لأنه من وجهة نظري، فإن أغلب ما نُشر عنه من دراسات ومقالات حتى =

هو معروف في الأدبيات الكردية بـ: "ثورة أيلول ١٩٦١-١٩٧٥م". وخلال هذه العلاقات التعاونية قام ملا مصطفى البارزاني بزيارة إسرائيل مرتين التقى فيها مسؤولين إسرائيليين كبارًا للتباحث حول الدعم الإسرائيلي للثورة الكردية المذكورة آنفًا(١).

وكان في جدول أعمال ملا مصطفى في هاتين الزيارتين أن التقى بعض أصدقائه القدامي من يهود كردستان الذين هاجروا إلى إسرائيل. وهناك لقاء ثالث أيضًا، لكنه تم في "حاج عمران"(٢) بكردستان العراق، بين ملا مصطفى البارزاني وصديقه ديفيد گاباي برعاية وتنسيق من الموساد والحكومة الإيرانية(٣).

حول تأريخ هذه الزيارات واللقاءات، فإن هناك اختلافًا بين ما ذكره التقرير الإسرائيلي مع ما ذكره شلومو نكديمون في كتابه "الموساد في العراق ودول الجوار"(٤)؛ فبينما يتفق الاثنان على أن زيارة البارزاني الثانية لـ ديفيد گاباي في

=الآن إما مؤدلج أو مسيّس لتحقيق أغراض سياسية وحزبية محددة. كما أن هذه الدراسة سوف تفسّر المردود الإسرائيلي حول سعيها لتكوين "تحالف الأقليات في الشرق الأوسط" لمواجهة القوى العربية الصاعدة، بل إن موضوع تحالف الأقليات هذا بحاجة إلى دراسة دكتوراه، خاصة وأن الخارجية الأمريكية قد أفرجت عن وثائق تفيد الموضوعين المقترحين.

(١) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי", דו"ח על ביקורו של מוסטפא ברזני בישראל, 1968 , 1973.

(٢) حاج عمران مدينة تابعة لمحافظة أربيل، وتقع على الحدود مع إيران وذات طبيعة خلابة. في سنوات السلم كانت من أحبّ المصايف إلى قلوب النخبة البارزة في بغداد، لكن في أثناء ثورة أيلول (١٩٦١-١٩٧٥م) أمست من المناطق المهمة في تاريخ الحركة التحررية الكردية في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ أصبحت إحدى المقرات الخلفية الرئيسية للقيادة الكردية. ينظر: گونتر دشنر، ص٤٠.

(٣) شلومو نكديمون، ص٢٧٤.

(٤) ص٢٧٤.

إسرائيل تمت في صيف ١٩٧٣م، فإنهما يختلفان في تأقيت زيارة ديفيد گاباي للبارزاني في كردستان؛ إذ يقول التقرير إنها تمت بعد زيارة البارزاني الثانية لإسرائيل بعدة أشهر(١)، بينما يذكر شلومو نكديمون أنها تمت قبلها بنحو شهرين، وتحديدًا في يوليو (تموز) ١٩٧٣م، ولم يشر إلى شيء في كتابه عما دار في هذه الزيارة(٢).

وهانحن نستعرض الجوانب الاجتماعية التي وردت في التقرير الإسرائيلي حول هذه الزيارات، وتحركات ملا مصطفى (الذي وصفه التقرير بالزعيم الكردي الأسطوري) فيها لتحقيق أهدافه وغاياته منها.

اللقاء الأول إبريل (نيسان) ١٩٦٨م:

في الزيارة أولى يذكر التقرير أن رجلا قويًّا وذا شارب نزل من طائرة الخطوط الجوية الإسرائيلية "العال" في مطار اللد قادمة من طهران في منتصف إبريل (نيسان) ١٩٦٨م، يرتدي رابطة عنق وبدلة كبيرة عليه، أخفى تحتها مسدسًا وخنجرًا. لم يتخوّف رجال الأمن من ذلك لعلمهم بوضعيته والبيئة التي يعيشها؛ فـ «مخزن السلاح لا يفارقه حتى في نومه»(٣)!

استعرض البارزاني مستقبليه، كان منهم نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي «ايغال آلون»(٤)، وعندما لم يجد الشخص الذي يبحث عنه سأل بخيبة أمل: «أين داود؟». وموقفه هذا ربما يشير إلى أمرين مهمين:

الأول: أن الزيارة كان لها إعداد سابق مع مسؤولين لتحقيق الهدف.

---

(١) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

(٢) شلومو نيكديمون: الموساد في العراق ودول الجوار، ص٢٧٤.

(٣) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

(٤) صهيوني عسكري (١٩١٨-١٩٨٠م)، تولى مهام عدة، برلمانية وسياسية، منها نائب رئيس الوزراء (١٩٦٨-١٩٧٤م)، تخللها أقل من أشهر رئيسا للوزراء (٢٦ فبراير-١٦ مارس ١٩٦٩م).

الآخر: أن ملا مصطفى توقّع أن يكون «داود» في مقدمة مستقبليه لأنه هو المقصود من الزيارة.

لكن الأمر الأخير لم يتم؛ ولذلك كان المضيفون مرتبكين، فالبارزاني لم يسأل عن وزير الدفاع موشي ديان، ولم يبدِ اهتمامًا بنائب رئيس الوزراء. إن مستقبليه كانوا يعلمون مَنْ المقصود، لكنهم أخطأوا في تقدير قوة المشاعر، ومدى الحب الذي يُكنّه البارزاني لصديقه اليهودي داود بن الياهو خواجا خِنّو.

ربما أدرك المضيفون أن البارزاني لن يتنازل، فاسارعوا لتصحيح الخطأ، وخرج موفدون بسرعة متوجهين نحو طبرية لإحضار داود. علموا أن اسمه «ديفيد گاباي» بائع الخضروات، كبير السن، من حيّ (ج) في طبرية العليا(١).

لكن كيف يأخذون ديفيد للقاء البارزاني دون إثارة انتباه غير ضروري في طبرية؟ يتحدث حييمكا لبقوف بن يبنئيال الذي اهتم بشؤون الأقليات وكان أيضا مشتركًا في هذه القضية قائلا: «جئت لمحل خضروات الرجل المُسنّ، وقلتُ له أريد مساعدتك للتحقيق مع متسلل أسير يتكلم الكردية، وليس هناك أحد يستطيع التحدث معه. وفي خلال السفرة أبلغت الرجل المسنّ الحقيقة بأن البارزاني في إسرائيل». تفاجأ ديفيد گاباي، غطى وجهه بيده، وأخذ وقتًا لاستعادة قواه.

على الجانب الآخر، أقام البارزاني في دار للضيافة في وسط إسرائيل، وعندما التقى الاثنان وجهًا لوجه ذُهِل ديفيد گاباي إلى حد أنه حاول الركوع على الأرض وتقبيل أقدام الزعيم الكردي. أمسك البارزاني ذراعي صديقه بقوة ولم يسمح له بالركوع. حاول گاباي تقبيل يديه على الأقل، وحاول البارزاني جاهدًا منع ذلك أيضًا. في هذه الأثناء تشابك الاثنان حتى جثما على رُكبهم

(١) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

متعانقين ومجهشين بالبكاء. سأل البارزاني: كيف حال تسيون؟ وسأل گاباي: كيف حال الشيخ أحمد؟[١]

هدأ الصديقان تدريجيًّا، ووقفوا على أرجلهم، وبدأوا بتبادل الانطباعات: منْ على قيد الحياة؟ ومنْ توفى؟ ومن معنا؟ ومن ضدنا؟ بقى گاباي للنوم مع البارزاني، ولكن كلاهما لم يُغمض لهما جفن في تلك الليلة.

في الصباح سأل لبقوف الصديقان عن ماذا فعلا في ليلتهما؟ أجاب البارزاني قائلا: «أخذ كل واحد منا بيد الآخر، هو يبكي، وأنا أبكي. هو يبكي، وأنا أبكي». هنا يعلق لبقوف بقوله: «اتضح لي بأن هذه هي صداقة بمستوى لم نسمع عنها»[٢].

لقاء تم بعد فراق قسريّ استمر ثلاثة وعشرين عامًا، علاقة استمرت عشرات السنين، ثم انقطعت عام ١٩٤٥م بعد اضطرار مَلا مصطفى البارزاني للانتقال إلى شرق كردستان في إيران، ومنها لاجئاً إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٧م[٣]. أما داود وبقية أفراد عائلته فقد اضطروا أيضاً للهجرة إلى إسرائيل عام ١٩٥١م، تاركين ما يملكون في كردستان العراق، حيث كانوا أغنياء جدًا كما أوضحنا سابقاً. جاءوا إلى إسرائيل فقراء، بدأوا حياتهم من الصفر؛ عمل ديفيد گاباي في تعبيد الطرق، ثم بشراء أغنام يرعى بها في مكان قريب من بيته في طبرية العليا، ثم أخيرًا أصبح بائعًا للخضروات[٤].

---

(١) Ibid

(٢) Ibid

(٣) مسعود البارزاني، ص٢٩٠.

(٤) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

السؤال هنا: هل هذه كانت المرة الأولى التي تدرك فيها السلطات الإسرائيلية أهمية ديفيد گاباي وبقية عائلته على صعيد زعيم كرد العراق؟ أو بمعنى آخر: كيف تم الإعداد لهذه الزيارة؟

يقول ماجد گاباي الذي كان يعمل في بلدية طبرية: إنه في منتصف ستينات القرن العشرين بدأت أوساط مختلفة بالبحث في طبرية عن شخص اسمه خواجا خِنّو[١] من كردستان، وذلك بعد إدراكهم أن اسمًا كهذا غير موجود في تعداد السكّان. يضيف ماجد گاباي: «لم يخطر على بال أحد أن الخواجا خِنّو هو لقب بائع الخضروات المسن من طبرية. وفي أحد الأيام سألني سكرتير بلدية طبرية (ايلي عنتابي) ما إذا كنتُ أعرفُ شخصًا باسم "خِنّو"؟ قلتُ: هذا لقب عمي. وسألته: من يبحث عنه؟ فقال: سأل مصطفى البارزاني عن شخص باسم خِنّو هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥١م».

يضيف ماجد گاباي: «بين الأيام الأولى والأيام الأخيرة من عيد الفصح عام ١٩٦٤ أو عام ١٩٦٥م جاء إلى دارنا في طبرية العليا أربعة رجال، وطلبوا اللقاء بديفيد گاباي. وتحدثوا بأن الرئيس الثاني (اسحاق بن تسفي) بدأ بإعداد بحث عن يهود كردستان، ولم ينته منه بعد. والآن يطلبون منه مساعدتهم في ذلك. ولكنهم لم يسألوه عن اليهود، بل عن المنطقة التي كان يقيم فيها البارزاني. إنهم أرادوا أن يعرفوا ما إذا كان هذا هو خواجا خِنّو الذي يبحثون عنه»[٢].

لما تأكدوا من كونه هو قاموا بتشغيل جهاز التسجيل، وطلبوا منه التحدث عن مصطفى البارزاني. هنا اعتقد ديفيد گاباي بأنهم يقومون بتسجيل تحيات؛ حيث تحدث وكأن صديقًا يقف أمامه وجهًا لوجه. وهذا ما قاله: «عندما ذهبتم

---

(١) يقصد ديفيد خواجا خِنّو.

(٢) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

إلى روسيا عام ١٩٤٥م[١] أرادت السلطات العراقية إعدامي، واتهموني بتقديم المساعدة لكم. قلت إنك أجبرتني أنْ أتاجر من أجلكم بتهديدات على حياتي وحياة أفراد عائلتي. قدمتُ المال لضابط شرطة، وهكذا نجوتُ من الموت»[٢].

بعد مدة من الزمن، اتضح لعائلة گاباي في طبرية أن البارزاني قد سأل حقًّا الإسرائيليين الذين وصلوا إلى حصنه في جبال حاج عمران ما إذا كانوا يستطيعون أن يجدوا صديقه خواجا خِنّو. وعندما قالوا له إنهم اكتشفوا خِنّو طلب منهم دليلا (صورة وتسجيل صوتي) على أن الرجل يعيش في إسرائيل. وجرى إرسال الصورة والتحيات التي تم تسجيلها إلى الزعيم الكردي: «إنه استمع للصوت واقتنع»[٣].

يقول رجل الموساد (حييمكا لبقوف): «عندما التقيت مع مصطفى البارزاني في المرة الأولى كان سؤاله الأول: كيف حال داود؟ كنتُ مرتبكًا. وبعد ذلك، إنّ كل منْ ذهب للقاء البارزاني كان يتوجب عليه أن يمر بطبرية ليسلم تحيات حقيقية أو كاذبة من ديفيد گاباي. وعندما قدمتُ له صورة گاباي قام بتقبيلها، ثم وضعها على رأسه، وبعد ذلك أمعن النظر بها بشدّة. وفجأة اكفهرّ وجهه؛ أشار إلى رقعة في بدلة بائع الخضروات وقال: "خواجا خِنّو يذهب مع بدلة ممزقة؟! هذا عار على إسرائيل". إنه كان متأثرًا جدًّا. اتضح لي آنذاك فقط ولأول مرة: كم هي قوية العلاقة بين البارزاني وگاباي، وأكثر مما توقعت»[٤].

---

(١) ذهب في هذه السنة إلى إيران، أما اللجوء إلى روسيا فكان عام ١٩٤٧م.

(٢) أوضحنا تفاصيل ذلك في صفحات سابقة.

(٣) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

(٤) Ibid

يدلل ما سبق على حجم الوجود الإسرائيلي في كردستان، ومدى اهتمام سلطات الكيان الصهيوني بهذا الأمر؛ إذ كان يهمها استمرار القلاقل والصراعات العسكرية بين حكومة بغداد والكرد(١).

في بيت عائلة ديفيد گاباي في طبرية توجد إضبارة كبيرة، تحتوي على الرسائل المتبادلة بين الصديقين، تتكرر فيها رغبة البارزاني في لقاء صديقه ديفيد گاباي. يعلق التقرير عليها قائلا: «البارزاني في جبال كردستان وهو ملك، لكن رسائله إلى بائع الخضروات في طبرية يختتمها بكلمات "خادمك"، أو على الأكثر "أخوك". الرسائل بين حاج عمران... وبين طبرية تمر بتسليم يدوي. وهكذا أيضًا تم تعبيد بشكل أكثر الطريق إلى قلب البارزاني»(٢).

يتحدث ماجد گاباي قائلا: «أرسلنا للبارزاني أيضا ملابس، عطور، حُليّ، أدوات ذهبية، نظارات. وقمت بخياطة ثلاث بدلات لأولاده، واشتريت معطف فرو لزوجته».

ومن الرسائل المتبادلة بين ديفيد گاباي ومَلا مصطفى نعرض هذه الرسالة النموذجية من البارزاني إلى گاباي: «إلى حضرة الأخ الغالي داود خواجا خِنّو. كيف حالك؟ إنني أسأل عن صحتكم وأحوالكم، وأريد أن أعرف حال أبنائك وإخواتك. تلقيت بسرور رسالتكم الأخيرة. تلقينا منكم الهدايا الثمينة. إنني أقدم لكم جزيل شكري. وأنا أطلب من كل قلبي ألا تثقلوا على أنفسكم في إرسال هدايا ثمينة. عليك إرسال أمور رمزية فقط. إنني أدعو الله أن تكون بصحة جيدة، وهذه ستكون الهدية الثمينة جدًا. تحياتي وتقدير لكم. مصطفى البارزاني»(٣).

---

(1) Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Vol E-4, Documents on Iran and Iraq, 1969-1972, Central Intelligence Agency Information Cable TDCS DB–315/01044–70, pp2-3.

(٢) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

(٣) Ibid

في رسالة أخرى كتب البارزاني: «أرسلت لك ١٨ غليونًا، وكذلك تبغًا ممتازًا من النوع الذي اعتدت تدخينه... قبلاتي لكم ولإخوتكم وأولادكم. وآمل أن وضعنا سينتهي بالانتصار»[١].

كما أن استئناف هذه العلاقة قد أعاد لـ ديفيد گاباي وعائلته مكانته وموقعه الكبير بين يهود كردستان الذين هاجروا إلى إسرائيل. حيث تحوّل بيته الذي يطل على بحيرة طبرية إلى مركز لقاءات. كانوا يقرأون مراراً الرسائل التي تصل إليه والمكتوبة باللغة العربية، وبخط سلس، وعلى ورق ممتاز، دون إشارة للتواريخ والأماكن وتفاصيل جدية؛ إنها مسألة أمن ميدان[٢]، وهذا واضح في الوثائق التي تم الإفراج عنها؛ إذ لايزال بعض أسطرها محجوبًا لم يرفع عنه السرية، لاسيما ما تتحدث عن حجم الأسلحة وقدر الأموال وغيرها، المقدمة إلى الكرد من قبل الكيان الصهيوني والولايات المتحدة[٣].

في إحدى المناسبات كتب ديفيد گاباي إلى البارزاني، أنه في المدة التي لجأ فيها إلى الاتحاد السوفيتي اكتشف رعاة رشيد أمين علامات للذهب في المنطقة، ربما يستطيع مَلا مصطفى استغلال المعلومات لفائدته. فرد البارزاني على گاباي قائلا: «لم ينقصنا المال والذهب. أنا أعلم أنه في المنطقة التي أعطيتني معلومات عنها يوجد نفط، ذهب، فضة، نحاس، حديد، فحم. لكن فقط تكون لنا دولة نستطيع استغلال ذلك. إلا إننا في حرب، ولا نستطيع استخدام المعادن لتطوير صناعة. وعندما تكون هناك إمكانية فسوف لن ندخر جهدًا. إنني أشكرك على القدّاحات الغازية الخاصة التي أرسلتها. سنبقى سوية

---

(١) Ibid

(٢) Ibid

(3) Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Vol XXVIII, Iran, Iraq, 1973-1976, Memorandum From Director of Central Intelligence Colby to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), August 7, 1973.

حتى الموت. كل أصدقائك عندي هنا يسألون عن أحوالكم وصحتكم. وبعون الله وبحضور أصدقائنا المخلصين هنا سوف لن نوقف العلاقة الجيدة معكم. إن كل شيء على ما يرام، وبمساعدة الأصدقاء في إسرائيل إننا مهتمون جدًّا بأن تستمر هذه العلاقة. أنا أطلب منك أن تصدقني بأنني بصحة جيدة. أنا آمل أن نلتقي قريبا جدًّا. خادمك مصطفى البارزاني»[١].

لاشك أن هذه العلاقة الحميمية قد استغلتها سلطات الكيان الصهيوني في تمدد نفوذها بشكل أكبر داخل المنطقة الكردية بالتنسيق مع شاه إيران والولايات المتحدة الأمريكية، كما استغلها البارزاني في الحصول على مزيد من الدعم العسكري والمالي[٢]، وكانت المحصلة التي تسعى إليها الدول الثلاث: ديمومة الصراع المسلح بين الكرد والقوات العراقية لاسيما بعد انقلاب ١٩٦٨م ووصول البعثيين لحكم العراق[٣].

اللقاء الثاني سبتمبر (أيلول) ١٩٧٣م:

حدثت الزيارة الثانية في صيف عام ١٩٧٣م، وتحديدًا في سبتمبر (أيلول)[٤]. يقول الابن هيرتزل: «اتصلوا هاتفيًّا ظهر يوم الجمعة، وأبلغوا أن البارزاني سيصل في اليوم التالي، وألا أعلن ذلك حتى لأفراد

---

(١) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

(2) Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Vol E-4, Documents on Iran and Iraq, 1969-1972, Central Intelligence Agency Information Cable TDCS DB–315/01044–70, 9 March 1970, pp2-3.

(3) Foreign Relations of the United States, 1964-1968, Vol XXI, Near East Region, Arabian Peninsula, Memorandum From John W. Foster of the National Security Council Staff to the President's Special Assistant, 17 July 1968.

(٤) شلومو نيكديمون: الموساد في العراق ودول الجوار، ص٢٧٤.

العائلة». ساء العائلة طريقة الإخبار. يقول ماجد گاباي: «لم يعطونا وقتًا لإعداد استقبال فخم للضيف الموقر»[١].

بعد ظهر يوم السبت وصلت إلى طبرية العليا حاشية كبيرة، نزل ديفيد بزيّه الكردي إلى الشارع ومعه حفيده (إيتان) لاستقبال البارزاني الذي كان يرتدي بدلة. تعانقا وقبّلا كل منهما الآخر في الشارع، وقبّله إيتان من يده، فقبّله البارزاني من رأسه. قال البارزاني: «الآن، بعد أن رأيت أخي خواجا خِنّو وكأنني ولدت من جديد». كان لقاءً موسّعًا؛ ضم كل عائلة گاباي ورؤساء يهود كردستان في إسرائيل[٢].

طلب البارزاني أن يقيم في بيت ديفيد گاباي، فأقاما في غرفة الحفيد هيرتزل. ثم دعا ديفيد ابنته سليمة التي روت: «أعدّ والدي علبة تحتوي على حليّ – سوار ذهب وساعة ذهبية – لتقديمها هدية لزوجة البارزاني. قبّلتُ يده، وقلتُ له بالكردية (مرحبًا يا عم)، فأجاب: (أهلا وسهلا ابنة أخي)، وقبّل جبيني. قدّمتُ له الهدية. أردت الخروج ولكنه أجلسني إلى جانبه، فبقيت. أخرج البارزاني سلسلة ذهبية وسأل والدي رحمه الله ما إذا كان يبدو له أن تلك هدية كافية لوزير الدفاع موشي ديان بمناسبة زواجه من راحيل أو أنه يجب تقديم نقود أيضًا؟ قال والدي إنه ليس من الواجب تقديم نقود. ثم بدأوا يتحدثون وخرجتُ أنا»[٣].

بعد وقت طويل من الحديث بينهما خرجا إلى غرفة الاستقبال، حيث استمرت الأغاني والقصص الكردية ست ساعات. أغان كردية تحكي عن البارزاني الذاهب إلى القتال، وعن اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي، وعن

---

(١) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

(٢) Ibid

(٣) Ibid

الاعتقالات المستمرة. بكى البارزاني وأعقبه جميع الحاضرين. عانقه ديفيد في بكاء شديد. بعد ست ساعات غادر البارزاني ومن يرافقه إلى وسط إسرائيل(١).

اللقاء الثالث في حاج عمران(٢):

تم اللقاء الثالث بزيارة ديفيد گاباي إلى كردستان، إذ لم تنقطع الرسائل المتبادلة بين ديفيد والبارزاني تتضمن قرب لقائهما. حيث تم إرسال ديفيد إلى كردستان، كان عمره ٨٦ سنة، لم يرتعد من متاعب الرحلة في الجو والبر، مع أنها كانت سفرة شاقة لعدة أيام في الجبال(٣).

سافر ديفيد محمّلاً بالهدايا من حُليّ وملابس. قضى هناك أسبوعين، كان مسرورًا جدًا فيهما. وعندما زار القرى الكردية اكتشف أنه لايزال يتمتع بشهرة؛ إذْ لم ينساه الناس. بل إن كبار رجال عقرة طلبوا منه أن يبذل مجهودًا لدى البارزاني لترميم بيوتهم التي تدمرت من جراء عملت قصف الجيش العراقي. في أوقات الليل، كان البارزاني وديفيد يجلسان في مقر الثوار، يتبادلون الأحاديث. يعلق التقرير: «إن بائع الخضراوات من طبرية عاد ليكون سيّدًا كبيرًا»(٤).

بعد وداع مؤثر بين البارزاني وصديقه ديفيد گاباي شددا على أهمية المحافظة على العلاقة بينهما، وحمّله البارزاني بالهدايا، وأكد على المسؤولين عن الحماية ضرورة وصوله بسلام خشية السرقة في الطريق(٥).

يبدو أنهما اشتما رائحة نهايتهما القريبة؛ ففي ٦ مارس (آذار) ١٩٧٥م قمعت ثورة أيلول بعد اتفاقية الجزائر المشهورة بين العراق وإيران، اضطر

---

(١) Ibid

(٢) أشرنا سابقًا إلى الاختلاف في تأقيت هذا اللقاء.

(٣) شلومو نيكديمون: الموساد في العراق ودول الجوار، ص٢٧٤.

(٤) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

(٥) Ibid

بعدها ملا مصطفى أن يعيش خارج كردستان العراق، حتى مرضه الشديد (السرطان)، حيث لم ينفعه علاجه في الولايات المتحدة الأمريكية؛ فقد أنهى المرض اللعين حياته في ١٩٧٩م(١).

تحكي سليمة ابنه ديفيد گاباي أنه عندما سمع أبوها خبر موت البارزاني جلس على الأرض، وملكه البكاء الشديد، والحزن المستمر، والانقطاع عن العمل. يخرج إلى الهضبة معتكفًا حتى مرور ستة أشهر كانت فاصلة بينه وبين صديقه ليلتحق به في الحياة الآخرة(٢).

على أية حال، فإن ما سبق كان تطوافة على سياسة ملا مصطفى البارزاني تجاه يهود كردستان في ضوء التعاون المشترك في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، والتي كان لها أثرها الواضح داخليًّا وخارجيًّا. وتبقى المعلومات التي أتت من جانب واحد – لاسيما المصادر اليهودية – تبقى وجهة نظر يهودية، وبعضها صهيونية، فيها نوع من المبالغة أحيانًا والإجحاف أحيانًا آخر؛ لاعتبارات عدة، منها: قلة عدد اليهود في كردستان وقتذاك، وأن اليهود دائما يمسكون العصا من المنتصف حسب مصالحهم، وقيامهم بترسيخ فكرة "اليهودي المخلص" عن طريق الضغط على البارزاني باعتبارهم منقذين له، خاصة وقت الأزمات، وما أكثر الأزمات التي مرّ بها الكرد.

****

وخاتمة لما سبق، نستطيع أن نرصد عدة حقائق، منها:

إن طبيعة المجتمع الكردي المرنة غير المتطرفة القابلة للتنوع ساعدت في استقرار عدد من الأقليات غير المسلمة بين المسلمين الكرد مدة طويلة من

---

(١) درية عوني، الأكراد، الطبعة الأولى، منشورات أبوللو للنشر والتوزيع–القاهرة ١٩٩٩م، ص ص١٦٥، ١٧٠.

(٢) משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי"....

الزمن دون أن يشعروا بفوارق دونية، يزاولون أنشطتهم الاقتصادية وشعائرهم الدينية وخصوصياتهم الاجتماعية بحرية وأمان في أغلب الأحوال.

لا يوجد يهود من الكرد، أما من كانوا يعيشون في المناطق الكردية من اليهود فيُطلق عليهم "يهود كردستان"، الذين هم بالأصل مهاجرون من فلسطين منذ القرن الثامن قبل الميلاد فيما يُعرف بالسبي البابلي وغيره من حملات تهجير اليهود آنذاك.

أن شخصية ملا مصطفى البارزاني وطريقة تعامله مع مواطني مناطق نفوذه جعلت يهود كردستان يجلُّونه ويقدّرونه ويتحاشون خيانته، بشهادة العديد من الرحالة الأجانب، منهم يهود زاروا كردستان في أوقات متفرقة. بل أسهم بعض يهود كردستان (لاسيما الأثرياء منهم) بشكل واضح في الدعم العسكري والاقتصادي واللوجستي أثناء قيام قوات ملا مصطفى بالدفاع عن أراضيها ضد الحملات العسكرية من الحكومة المركزية ببغداد.

كان لسياسة ملا مصطفى البارزاني تجاه يهود كردستان أثر فعال في علاقاته مع إسرائيل بين عامي ١٩٦٥-١٩٧٤م، بإيجاد وفتح قنوات اتصال مع المسؤولين الإسرائيليين من خلال أصدقائه القدامي من يهود كردستان الذين هاجروا إلى إسرائيل. كما أن الإسرائيليين استغلوا هؤلاء (أصدقاء ملا مصطفى) في تحقيق مراميهم في العراق وإيران بتغلغل الموساد في هذه البلدان.

ارتفاع الوعي السياسي لدى ملا مصطفى البارزاني نظرًا لعلاقته بين أتباعه؛ فلم يفرق بين قومية، أو ديانة أو مذهب، مع أن حياته لم تكن تمر في ظروف عادية؛ فهو يتوق إلى تحقيق تطلعات الكرد القومية، في ظل تحديات داخلية من قبل بعض القبائل الكردية، وتربصات وحملات عسكرية من الحكومة المركزية في بغداد بدعم غربي، لذلك كان في ديمومة نضالية عسكريًا وسياسيًا واجتماعيًا، متنقلاً بين مكانٍ وآخر، مسلِّمًا تحركاته من جبل إلى جبل، وبارزان وحاج عمران أكبر دليل على ذلك.

لا يزال موضوع العلاقات الكردية الإسرائيلية بحاجة ماسة إلى دراسات أكاديمية قائمة على مصادر أصلية ذات صلة مباشرة لتفتيت هذه الإشكالية ومعرفة أسبابها وأبعادها وتقييمها على أسس وبراهين راجحة؛ لأن الكتابات الموجودة في هذا الإطار حاليًا إما كتبها بعثيون وشوفينيون معادون لتطلعات الشعب الكردي، وإما كتبها عناصر من الموساد الإسرائيلي وصحفيون غربيون زاروا مناطق كردستانية في أوقات وظروف تاريخية محددة، ثم نشروا انطباعاتهم على ما قالوا إنهم رأوه وشاهدوه. وبالتالي: جاءت كتاباتهم إما مدغدغة لأيدولوجية تعتقدها، وعازفةً على أوتار نغمة تتبناها. كما أنه يُلحظ على كتابات بعض الأجانب أنهم رأوا وضعًا أو حالة معينة في أثناء زيارتهم لمنطقة كردية، ثم يقومون هم، أو من ينقل عنهم نقلا غير دقيق، بتعميمها تاريخيًّا وجغرافيًّا، أي سحبها على طول التاريخ الكردي، وعلى محيط كردستان الجغرافيّ.

الملاحق

ثلاث صفحات من التقرير الإسرائيلي –أحد مصادر البحث– تتخللهم الصور التي أشرنا إليها في المقدمة

ביקור חשאי

מנהיג מרד הכורדים בעירק, מולא מוסטפה אל־ברזאני, נחת בשדה התעופה בלוד בסודי סודות. היה אכפת לו שהישראלים שכחו להביא את דוד גבאי, הירקן מטבריה, ידידו מילדות, להיות בין מקבלי פניו. בביקור חשאי שני בישראל, כבר התארח בירושלים בבית משפחת גבאי. בעבור זמן לקח את ידידו מטבריה לטיול בהרי כורדיסטן. בין הביקורים החשאיים החליפו מכתבים וברכות. הנקודה האנושית שמאחורי הסיוע הצבאי. הבן של ברזאני מנהיג היום את המרד על אש קנה. מהקשר ההוא נותרו רק זכרונות.

מאת יצחק בן חורין

סוס "אל־עלי" סהנייע מסהרן ללוד בשמצע אפריל של שנה 1968. ירד נכר חסון ומוצק, שלא משך השומת־לב מיוחדת. תנוס בינינה יחליפה הבדולה עליי בשני מספרים. מהתה הסתרו אקרח וסכין, אנשי הבסהון לא התרגשו. הם ידעו קהאיש הגרוך על חיין, רגיל להסתובב עם וחסד נשק צמוד, שאינו מתפרק ממנו גם בשנתו. אילו שבא לבקר ידידים. חשדנות מכעית של חיה נרדפת. מולא מוסטפה אל־ברזאני, המנהיג הכורדי הא־ר, הגיע לביקור חשאי בישראל.

האורח ירד מהמטוס, סקר את מקבלי פניו, ובשלא מצא את מי שחיפש שאל באכזבה מושגית, "איפה ראודי" המארחים היו נבוכים. הוא לא שאל על שרהבכתון משה ריין, וגם לא התעניין בשלו "אש־המשלה יגאל אלון. בקבלי פניו ידעו גמי מרובר, אבל סעו בהערכת עוצמת הרגשות ומידת האהבה שרוחש הלוחם הכורדי לידידו הישראלי. עכשיו, כשהבינו המארחים שברזאני לא יוותר, גם איחדי לתקן את השגיאה ושליחים יצאו בדוהלום לשבריה לאסוף את דאוד גבאי. ירוק ישיש משיכון ג' בטבריה עילית, ולהביאו לפגישה עם ברזאני. מפגש ראשון אחרי פרידה מאוים שנמשכה 23 שנים.

אבל איך לוקדים את גבאי לפגישה כלי לעודד תשומת לב מיוחדת בטבריה? חיימקה לבקוב, בן יבניאל שעסק בעניני מיעוטים והיה מעורב גם בפרשה הזאת, מספר: "באתי לעזות היריעות של הזקן ואמרתי לו שאני מבקש את סיועך להקור מסתננו שברי שמדבר כורדית ואף אחד לא מסוגל לדובב אותו. במהלך הנסיעה הודעתי לזקן את האמת, שברזאני בארץ. גבאי לא ידע או דבר על קשר כלשהו של ישראל עם המנהיג הכורדי. הוא התעלף לי בידיים ולקח זמן לאושש.

"ברזאני התאכסן בבית־הארחה במרכז הארץ. כשהסנים נפגשו פנים אל פנים, נפעם גבאי עד מרי כך שניסה להשתטח ארצה ולנשק את ידיו של המנהיג הכורדי. ברזאני תפס בכוח בזרועותיו של הזקן מסבריד ולא נתי לו ליפול. גבאי ניסה רפותו לנשק את ידיו. ברזאני נאבק איתו למנוע גם את זה, ותוך כדי מאבק אחוו השניים זה בזה, עד שכרעו על ברכיהם מחובקים ופורצים בבכי. ברזאני שאל 'מה שלום ציון'. וגבאי שאל 'מה שלום שייח' אחמד'".

לאט לאט נרגע. קמו על רגליהם והחלו להחליף רשמים. מי הי, מי נספר, מי אתנו מי נגדנו. לבסוף: "גבאי נשאר ללון עם ברזאני, אך שניהם לא יכלו לעצום עין כאותו הלילה. בבוקר שאלתי את ברזאני: 'מה עשיתם בלילה?' והוא השיב: 'החזקני יד כל הלילה. הוא בוכה, אני בוכה, הוא בוכה, אני בוכה'. התברר לי שזו חברות גדולה שאנחנו לא נבינים. חברות שתרמה רבות לאמון שב. ברזאני בנו. הישראלים".

1965 עד 1974 היו שנים של שיתוף פעולה בין ישראל לבין המורדים הכורדים בעירק. ראש־המשלה הסיוע הישראלי. אשתקד אף נחשף צילום משרתי של ברזאני וחייקה כבוד באהל הסודי של הבוזא בחאג' עומראן. על־פי דיווחים זרים מאותם שנים ויתקו הכורדים שתים־שלוש דיוויזיות עדכניות. רצפו המדינה. המרד הכורדי הזה דוכא לא בי התכונה הלאומית של המורדים. היא עדיין קיימת על אש קטנה, בתמיכה ועידוד של האייראנים. בייחד משתק במלחמתם נגד עירק. את המלי־ר הקטנה הזאת מנהיג בנו של ימולא המנות, מסעוד ברזאני.

חיזוי יותר מתפרצת התסיסה "כורדית בניזור התורכית של כורדיסטן "הצובלית", מרבר תורכיה, בעוד שתי מדינות נוספות במרחב - סוריה ואיראן - יאוי תורדת לתתעמן, אלא שפשיטות הכורדים מעיזותם בהרים על הכפרים התורכיים נרחקות היום, משום מה, לשולי הערשות. הכורדים, אגב, שולטים באזור הסמ

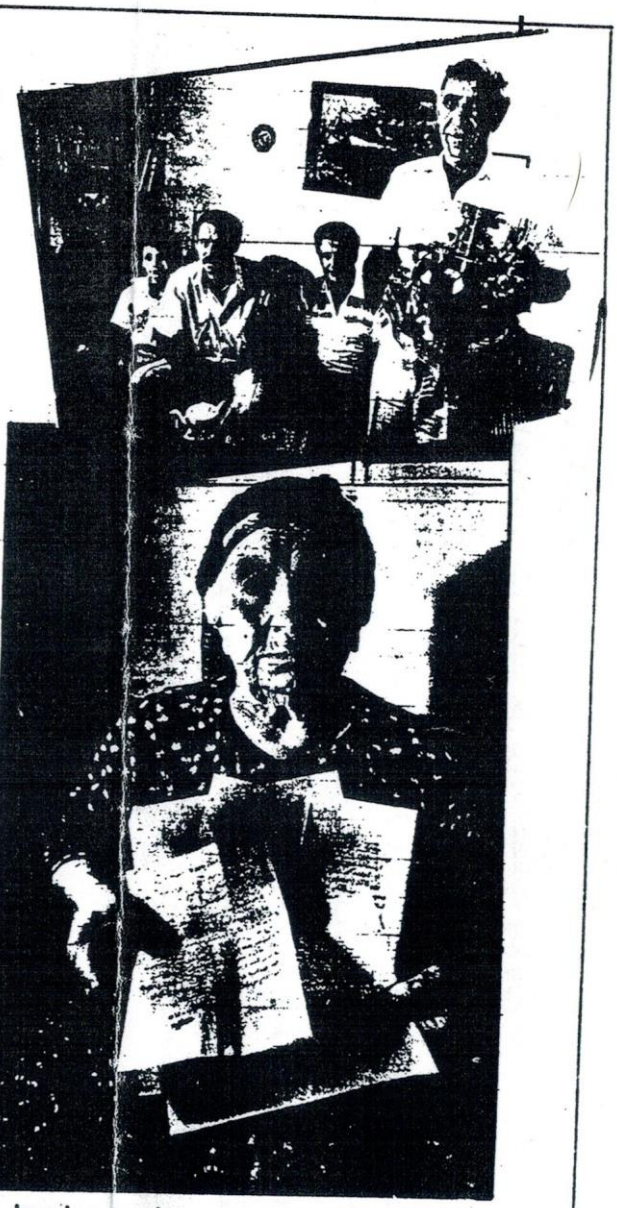

חיים לבקוב: "בהרי כורדיסטן הגשתי לברזאני צילום של גבאי. הוא נישק את התמונה, הניח אותה על הראש, ולפתע נתקררו פניו. הוא הצביע על טלאי בחולצתו של הילקן הטבריינ'י ואמר: 'חוואג'ה חינו הולך עם חולצה קרועה? זה בושה לישראל'".

משפטה אל־ברזאני ודוד גבאי בעת הביקור בטבריה ב־1973: מראשון, אשת דוד, עם שכתבי ברזאני, היושן; מג'יד גבאי הבן, עם מיתם כורדי שקיבלו במתנה מברזאני (צילומים: ראובן קפשדו). הוא אמר "אני המשפחה שלך".

תוצאת הסדנה של שוויה. היא עתה, הם מקלט לאחד כל מכה בתורכיה. הסורים והתורכים מסוכנים בסכסוך גבולות ישן. התורכים אוברי־עצות. הם נמנעים מלתקוף את נפתי הסוכנים מחשש לעימות עם הסורים. לסורית שעיר, מציידה, נותנת לתורכים חופש פעולה להפציץ את מעוזי הכורדים.

איבת הכורדים לתורכים נמשכת מימי השלטון העות'מני, כאשר הפולא מוסטפה היה תינוק, ורבו התורכים לפורר את אביו, המנהיג עבד אל־סלאם ברזאני. משפחת גבאי כבר היתה אז העשירה ביותר בכורדיסטן. אליהו גבאי, אביו של דוד – הוא "דאדי" הילדים מטפריה, אחד מגיבורי סיפורנו – נשלח לאיסטנבול עם פה מלא שבחות הב, במאמץ להציל את חיי המנהיג הכורדי. השחרר עשה את שלו. אליהו גבאי אמנם חזר עם צו הלפטל את שמש המנוח, אבל הציע יהם לאחר החליפה. הקשר בין משפחת גבאי לברזאנים רק התחזק. המשפחה היהודית קיימה קשרי מסחר עם עיירת הגבולות של עירק, היא היתה מפרסת את תוצרתם של הכורדים ורוכשת למענם את המחברות. המצרכים הדרושים לפחיחה. דוד גבאי הילד התיידד או עם הילד מוסטפה ברזאני. קשר שנמשך עשרות שנים. הוא נוחק ב־1945, כשהבולה מוסטפה נאלץ לברוח לברית־המועצות.

ט, הרבל, היום תושבי טבריה, מספר: "אבי, דוד גבאי, היה עשיר גדול בעקרא. כילד אני זוכר את הסידה שלנו. אבא קיבל במתנה כפר שלם על שדותיו, והאיכרים הפריחו לו שליש מיבוליהם. כשעלינו לישראל, לא יכולנו להביא כלום מהעושר הזה, ואבא נאלץ להתפרנס פשלילת כביסים. אחד־כך קנה כפתים ורשהאות ליד הבית בטבריה עילית, ופתח היה דקור. פשפחת גבאי עלתה לארץ ב־1951. כיבוד שלנו חוי פושפה לעירק. מאחר יותר הלל לעשות פותרות. אילו ניסה דוד גבאי לספר על קשריו עם המנהיג הכורדי המהולל, היו נרים לו בראש כפו לתמהוני. ימי תפארתו נשכחו. מי יאמין לילקן השקע נמכירת עבנזיות ובגלל

קו שבמחצית שנות השמים האלו נורמים שנים להפס בטבריה אחר כשם "חוואג'ה חינו", יוצא פרדיפסון. שם כזה לא נשמע במרשם הטלפונים. איש לא העלה בדעתו שחוואג'ה חינו ("הסוחר המתוגל") הוא בילדו של הילקן הטבריינ'י הישיש. "יום אחד", מספר מג'יד גבאי, "שאל אותי מזכיר העיר אלי עזרתי אם אני מכיר אדם בשם חינו. אמרתי: זה הבינוי של הדוד שלי, ושאלתי מי מחפש אותו. אמרו לי: משפחה ברזאני שאל על אדם בשם חינו שעלה לארץ ב־51' ולא מצאנו אדם כזה במרשם הטלפונים".

מג'יד עבר בעיריית טבריה. בחלל המועד מפה של שנת 1964 או 1965 בו לביתנו שבטבריה עילית. ארבעה אנשים וביקשו להפגש עם דוד גבאי. הם סיפרו שהנשיא השני יצחק בן־צבי לל התנחל ולא הספיק לחשלים מחקר על יהודי כורדיסטן, ועכשיו הם מבקשים שוכא יעזור להם למלא את החסר. אבל הם לא שאלו אותו על היהודים אלא על הקשר שבו יש ברזאני. כמי־הבל הם ביקשו לדעת אם זה חוואג'ה חינו שהם מחפשים".

כשהיו בסודים בזהותו של גבאי, הפעילו רשמקול וביקשו ממנו לספר על מוסטפה ברזאני. דוד גבאי השב שמקלידים דרישת שלום. ידיבר כאילו ידידו מילדות ניבב מולו פנים אל פנים. וכך אמר: "כשהלכתם לרוסיה בשנת 45', שלטונות עירק רצו להלות אותי. האשימו אותי בעזרה לכם. אמרתי שאילצת אותי לסחר עבורך באיזשהם על חיי בני

(המשך בעמוד 28)

(המשך מעמוד 35)

משפחתי. נתתי כסף לקנין משפחה וככה ניצלתי ממחלה".

לימים התברר למשפחת גבאי שבסביריה כי מושפחה ברזאני אכן שאל את הישראלים שהגיעו אל פתח ביתו ושאל: "שמרתם, אם הם יכולים למצוא את דירתו שהוצא ויהי. וכשאמרו לו שבילו את הינו-גבאי, הוא דרש והשיח שהאיש הזה בישראל – בילוח והקלטה קולית. ותשובות הדרישה השלום המוקלטת נשלחו לשבויה הפדרי, הוא הוציו לקל ושמע.

הישיבה לבקשו "כשנגשתי את מושפחה ברזאני בפעם הראשונה, השאלה הראשונה שלו היתה "מה שלום ראוד". הייתי המום. אחרי-כן, על מי שהלך לפגוש את ברזאני היה צריך לעבור דרך עזריה, למסור פרימת שלום אמיתית או שקרית מרוז גבאי. כשאני הגשתי לו צילום של גבאי, הוא ניגש את התמונה, הניח אותה על ראשו, אחר"כך התבונן בה בקפידה, ולפתע נתקדרו פניו. הוא הסביר על שלאי בחלצת העבודה של הדיקן והסכריייני האסרו זוהאבאת הינו הלך עם הצלבה קדושה זה בושה לישראל". הוא היה נסער. רק או התברר לי לראשונה עד כמה חזק הקשר שבין ברזאני וגבאי. הדבה מעבר למה שציפיתי. בעיקר, הציר הבהלה של חבל ברזאן, לא שהוא את הגבאים, וכראשם את חוזאבת הינו, שהיו הממני הפלאות, שנתנו כסף לנזקולים. לא היה איש שטען כי גלוז אחוז או לשם נדש מיוחד".

עשיו עשר פרזאני על הדיוח הקשר עם דיוד הנפש בישראל. יש תגורסים כי הקשר המיוחד הזה סייע להנבדת אמונו ביטחוני, מעבר לזוות האינטרסים של שני מיעושים בתרחב העיבי הגדול. בבית משפחת גבאי בסכיריה שולפים היום תיק עב-כרס, תוטפים לראשונה את הליטת הסכתבים שהתנהלה בין השניים. המיוחד הזה סייע להנבדת אמונו ביטחוני, בהיי בזרזיסטן הוא פלך, אבל את מכתבי לידיק מסכיריה הוא וחזם במילים "משפחת שלך", או לכל היותר "אחיך". המכתבים בין האב עזמאן, רכם הדים והולש על צמן ניזק בחזות הגבול עם ניזק, לבין מכיריה, עוברים במסירה ידנית. כך גם נטללה עד יותר הדיק ללבו של ברזאני. מניד גבאי נמסר: "שלחנו לברזאני גם בגדים, בשם, תבשילים, כלי חב ומשקפת. תמרתי שלוש חלישת לילדיו וקיבתי מעיל שרוח לאשתו".

מכתב אמיתי של ברזאני לגבאי: "לכבוד ואח היקר, דאוד, ומוצאה הינו. מה שלומך וכבודך. אני שאל בשלומכם ומצבכם ומבקש לדעת מה שלום בניך האחיך. קיבלתי משכנתא את מכתבך ואותרון. קיבלנו מכם את המתנות היקרות. אני מודה לכם מאד מאד ואני מבקש מכל ליבי שאל תכבידו על עצמכם במשלוח מתנות יקרות. תשלח רק דברים סימלים. אני מתפלל לאלוהים שיתן בריאים וזו ושהה ומתנה הבי יקרה. שיהיה שלום וכבוד עליכם. מוסטפה אל-ברזאני".

ובמכתב אחר כתב ברזאני: "שלחתי לך 18 מסטרות, וגם שבע משוה כמו שהייה רגיל לעשו... אני מנשק את הקיימים שלכם וקיבי האפים חביבים שלכם, ומשוה שהמצב שלנו יסתיים בנצחון". תרוש הקשר עם ברזאני החזיר לגבאי את יוקרתו ומעמדו הבכיר בעיני הבוהרית בצרן. ביתו ובשקיי על הזוהת נתפר למקר מניעות מעניינות. מיד ליד עברו תקראו שוב ושוב המכתבים המגיעים אליו שכתובים בעו בית בכתב רהוט על נייר משובח, ללא ציון תאריכים, משפחה, ושרשים רצניים. עניין של בחזון שוה.

בחזקות אחת כתב דוד גבאי לברזאני וטיפל לו כי בתקופה שבמלט לבריית-המועצות, רקעים של אוד ראשיד אמין נילו באיזור סיבוי הב. אולי יכול הפולא ברזאני לנצל את המידע לתועלתו. ברזאני השיב לגבאי: "לא אחר לנו כסף חזב. באיזור שנתת לי מידע עליו אני יודע שיש נפט, הב, נחושה, כסף, ברזל ושנם. אבל רק כשתהיה לנו מדינה שלנו נוכל לנצל את זה. אלא שאנחנו במלחמה, ולא יכולים להשתמש במחצבים לפחת תעשיה. כשתהיה אפשרות – לא נחסוך מאמץ. אני מודה לך על מציתי הנצח תכיוחים שלשלחת. עד השתת נהיה ביחד".

"נ.ב. כל. הידידים שלך פה אצלי דורשים אפר לפלוניו סמר פתוך חלופי "כל ודרך מעבריה ורגשתי שאני נמצא בסודרשטן, ורק עכשיו נזכרתי שאני בישראל".

הליטת המכתבים נמשכה דוד גבאי ביקש לעדוך ביקור נוסלין. ברזאני ענה לה "אני מקוה שזה יסדר בקרוב". אבל מסטר תדרשים נשלח דוד גבאי להרי סודרשטן. ישיש בן 86 שלא נהוג מחלאות המסע באוויר וביבשה, כולל נסיעה ממושכת במשך יומים אחרים אל החרים. הוא יצא עלוש מחנות – מגרש משחקים – תלוח שם משוגעים בלתי נשכחים. משגיח בנמרי המדרים, נילה שעדיין הוא נהנה מהזיכרון. לא שכחו אותו. נבנרי בפר עקרא אפילו ביקשו ממנו שישתרל אצל המולא מוסטפה לשקם את בתיהם שנהרסו בהמצבות העירוקים. בלילות ישבו ברזאני וגבאי בחמה המודרים ופיטטרו. הדיקן מסבריה שב להיות גביר.

י שפגש את ברזאני בהרי סודרשטן, מתהר אותו כמהכן נשק נייד, 24 שעות ביממה. תלבושת סודרית מבר האקי שאיפשר ללוחמיו הצליים תמאיות בלי שרובים. לראשו מצנפת המתרכבת משתי כאפיות ארוכות השוזרות אחת בשניה, ולבושו שתי תגורות כדורים וחגר ג'י אחיך קנה פלוס אקרח תני אוטומטי, מחסנית בפנים ועוד שתיים בחגר, וכידון מחודד עם סהר על הניצב. ברזאני נתן בכתה סיפי רב וחפשים מחודדים של אנס נדיך. רצה למחוק, שכיוה של היה, ויכולת קליעה למטרה אל ועם השערה. העוני והמחסור בתחטושת לימדו את הבודדים שאסור לבזבז כדורים.

"ישראלי שהיה שם מתאר את האחידות "כשחיכבנו את ברזאני הוא היה מגויע בבל ונזה אינציו, אינו הבוה. כשהיינו יושבים בלילות, לפעמים עד לשעות בוקר, ברזאני היה שופע הלצות וחכמות. בקי בשושאי ונך, אינ חכם, בעל השכלה עצמית. שלט בערבית ופרסית. הוא ידע שהקליט מתגולל על אינטרסים ולנרבאים אין סיפי רב. לבודדים אין מטיים. אין פיתות. אין טעם לעבד את השיחות. אם חדעים – באים מסוסים ציידים ומצויצים. נשארו הצללמנות. זה הענף המכניס היחיד שלהם". ברזאני הקפיד לשמור על הקשר עם דוד גבאי גם אחרי הפרידה הנרגשת, כשקלה אותו חזרה לישראל. הוא ביקש שיאשרו את קבלת מתנותיו מפני שחשש כי יגנבו אותן בדרך. באחד מהמכתבים האחדונים, מה10 באפריל 1974, הוא דיווח לדוד גבאי על שניים מאנשיו שבגדו בו ונהפכו ל"באנדה פליט" נוקמה לומר, השמרים המודדים, זה וביגוי למשמר הגבול העיוקי אליו הנשרמו הבוגדים, ותחנה הנשרת שלך ברזאני.

אלא שחיא כבר ודיה את הסף הקרב. ב"ם בפרס 1978 דוקא המדד. חלק ממנהיגיו הברזאני בראשם נמלטו לאוהב. מנהיג הצד הבודדי במשך שלושים שנה סיים את חייו בגלות. ב"1979 נפטר ממרסו.

סליטה, בתו של דוד גבאי, וזכרתי "כשאבא שמע שברזאני מת, הוא ישב על הנפה והתחיל לבכות. הוא באבל, לא אכל, לא שתה, לא פתח את העסק. היה יוצא לנבוה להתעבדד. מצי"שנה אח"כ גם הוא מת".

יצחק בן־חורין

אחד מסכתבי ברזאני לדוד גבאי: "כולם פת חבריכם, שולחים לכם שלום ושואלים לברואתכם. המצב, אם יודעה אללה ובקודתו, ובאמצעי התברים והאמצעים, עוד ישתנה. אנו לא חושבים מאמץ לשמור על היחסים העוזבים עם החברים בארצנו, ואם פיהוניק שיהיה את יהיה טוב".

المصادر والمراجع

أولاً- الوثائق غير المنشورة:

١- משרד החוץ הישראלי, "ביקור חשאי", דו"ח על ביקורו של מוסטפא ברזני בישראל, 1968 , 1973.

2- Foreign Relations of the United States, 1964-19568, Vol XXI, Near East Region, Arabian Peninsula, Memorandum from John W. Foster of the National Security Council Staff to the President's Special Assistant, 17 July 1968.

3- Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Vol E-4, Documents on Iran and Iraq, 1969-1972, Central Intelligence Agency Information Cable TDCS DB–315/01044–70.

4- Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Vol XXVIII, Iran, Iraq, 1973-1976, Memorandum from Director of Central Intelligence Colby to the President's Assistant for National Security Affairs (Kissinger), August 7, 1973.

ثانيًا- الكتب المطبوعة (العربية والمعربة):

١) أحمد سوسة (دكتور): أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل– إربد، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

٢) إريك براوَر: يهود كردستان، أكمله وأصدره رفائيل پاتاي، ترجمة شاخوان كركوكي وعبدالرازق بوتان، منشورات ئاراس للطباعة والنشر – أربيل، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٣) أيوب البارزاني: بارزان وحركة الوعي الكوردي ١٨٢٦–١٩١٤م، د.م، ١٩٨٠م.

٤) --------: المقاومة الكردية للاحتلال ١٩١٤–١٩٥٨م، فرنسا ٢٠٠٢م.

٥) جمال حمدان(دكتور): اليهود إنثربولوجيا، منشورات دار الكاتب العربي للطباعة والنشر–القاهرة ١٩٦٧م.

٦) جوناثان راندل: أمة في شقاق دروب كردستان كما سلكتها، ترجمه عن الإنجليزية فادي حمود، دار النهار–بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٧) حيدر علوان حسين: الإدرة في الدولة العثمانية، بحث منشور في مجلة "التراث العلمي العربي"، جامعة بغداد، العدد الأول ٢٠١٢م.
٨) دبليو. آي. ويگرام – ادگار. آي. ويگرام: مهد البشرية.. الحياة في شرق كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، منشورات دار ئاراس للطباعة والنشر–أربيل، الطبعة الرابعة ٢٠١٠م.
٩) دريه عوني: الأكراد، الطبعة الأولى، منشورات أبوللو للنشر والتوزيع–القاهرة ١٩٩٩م.
١٠) سعد سلمان عبدالله المشهداني: النشاط الدعائي لليهود في العراق ١٩٢١–١٩٥٢م، مكتبة مدبولي–القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
١١) شكيب عقراوي: سنوات المحنة في كردستان، مكتبة جزيري للنشر والتوزيع – دهوك، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
١٢) شلومو نيكديمون: الموساد في العراق ودول الجوار.. انهيار الآمال الإسرائيلية والكردية، ترجمه عن العبرية بدر عقيلي، منشورات دار الجليل–عَمّان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
١٣) شيماء محمد صبحي: التحدي الكردي للعراق من استقلال العراق إلى توقيع اتفاقية الجزائر ١٩٧٥م، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي التابعة لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد (٢٦) لسنة ٢٠١٨م.
١٤) صلاح الدين مجيد علي كريم الزنكنة: صفحات من تأريخ اليهود في العراق وكوردستان، منشورات الجمعية الثقافية والاجتماعية في كركوك، الطبعة الثانية ٢٠١٠م.

١٥) عبد الرحمن قاسملو (دكتور): كردستان والأكراد دراسة سياسية اقتصادية. الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٠م.
١٦) عبدالفتاح البوتاني (دكتور): ملا مصطفى البارزاني قائد الثورة وملهمها، منشورات مركز الأبحاث العلمية والدراسات الكوردية – فاكولتي العلوم الإنسانية/اسكول الآداب بجامعة دهوك، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
١٧) عبدالقادر البريفكاني: الحركة القومية المعاصرة من مصطفى البارزاني إلى مسعود البارزاني وثائق ومستندات، منشورات المركز العربي الدولي للإعلام–القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
١٨) عبدالمنعم الغلامي: الضحايا الثلاث، بغداد ١٩٥٥م.
١٩) عبدالهادي كريم سلمان: إيران في سنوات الحرب العالمية الثانية، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة بالعراق ١٩٨٦م.
٢٠) عثمان علي (دكتور): دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ١٨٣٣–١٩٤٦ دراسة تاريخية وثائقية، منشورات دار التفسير – أربيل، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٢١) عزيز حسن البارزاني(دكتور): الحركة القومية الكوردية التحررية في كوردستان العراق ١٩٣٩–١٩٤٥م، منشورات دار سْپيريز–دهوك، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
٢٢) علي سيدو الگوراني: من عمّان إلى العمادية أو جولة في كردستان الجنوبية، الطبعة الثانية، دار البشير–عمّان ١٩٩٦م.
٢٣) علي شاكر علي (دكتور): ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر دراسة سياسية إدارية اقتصادية، دار غيداء –عَمّان، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

٢٤) فاضل براك(دكتور): المدارس اليهودية والإيرانية في العراق.. دراسة مقارنة، منشورات دار الرشيد للطباعة – بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٢٥) ----------: مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة، طبعة بغداد ١٩٨٩م.

٢٦) فرست مرعي(دكتور): فصول من تاريخ يهود كوردستان، منشورات المديرية العامة للإعلام والطباعة والنشر بوزارة الثقافة والشباب بحكومة إقليم كوردستان، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

٢٧) فرهاد عوني: ذاكرة الأيام، تقديم د. عبدالفتاح البوتاني، الطبعة الأولى، أربيل ٢٠١١م.

٢٨) گونتر دشنر: أحفاد صلاح الدين الكورد الشعب الذي تعرض للخيانة والغدر، ترجمه عن الألمانية عبدالسلام بروارى، الطبعة الثانية، دهوك ٢٠٠٠م.

٢٩) مأمون كيوان: اليهود في إيران، دار بيسان – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

٣٠) متين فاضل طه: حركة الشيخ عبدالسلام البارزاني ١٩٠٣-١٩١٤م دراسة تاريخية سياسية وثائقية، مطبوعات فيربون – أربيل، ٢٠١٨م.

٣١) مُردخاي زاكن: يهود كردستان ورؤسائهم القبليون، ترجمته عن الإنجليزية د. سعاد محمد خضر، مراجعة أد. عبدالفتاح البوتاني – د. فرست مرعي، منشورات بنكەى ژين – السليمانية ٢٠١١م.

٣٢) مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية، منشورات كاوا للثقافة الكردية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

٣٣) مصطفى محمد رمضان(دكتور): صراع العرب واليهود في فلسطين منذ أقدم العصور حتى الآن، القاهرة ٢٠٠٩م.

٣٤) مينورسكى: الأكراد ملاحظات وانطباعات الأكراد أحفاد الميديين. ترجمه عن الروسية د. معروف خزنة دار ود. كمال مظهر أحمد، رابطة كاوا، دار الكاتب بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
٣٥) نوري بطرس عطو(دكتور): تأريخ حدياب، الطبعة الأولى، مطبعة المنارة-أربيل ٢٠١١م.
٣٦) هوزان سليمان دوسكي(دكتور): جمهورية كوردستان دراسة تاريخية سياسية، منشورات دار "سپيريز" – دهوك، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٣٧) وليام إيغلتن الابن: جمهورية مهاباد، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، منشورات دار الجمل-بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
٣٨) وليس بدج: رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد الجميل، جـ١، بغداد ١٩٦٦م.

ثالثًا- الرسائل العلمية:

١) صالح حسن عبدالله: تهجير يهود العراق ١٩٤١-١٩٥٢م، أطروحة ماجستير أجيزت من كلية التربية جامعة تكريت ٢٠٠٣م.
٢) علي شيت محمود الحياني: اليهود في الموصل ١٩٢١-١٩٥٢م دراسة عامة، أطروحة دكتوراه أجيزت من كلية الآداب جامعة الموصل سنة ٢٠١٢م.
٣) مهند سمير حسن: سياسة بريطانيا تجاه كرد إيران ١٩١٤-١٩٤٦م، رسالة ماجستير غير منشورة أجيزت من قسم التاريخ بكلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ديالي بالعراق سنة ٢٠١٣م.
٤) هشام فوزي حسني عبدالعزيز: النشاط الصهيوني في العراق بين عامي ١٩٢٠-١٩٤٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الآداب الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م.

٥) ولاء حسن (دكتورة): العلاقات البريطانية الإيرانية ١٩٥١-١٩٧٩م، رسالة ماجستير غير منشورة أجيزت من كلية البنات جامعة عين شمس ٢٠١٩م.

رابعًا- المصادر الأجنبية:

1- Almut Nebel, Dvora Filon, Bernd Brinkmann, Partha P. Majumder, Marina Faerman, and Ariella Oppenheim, The Y Chromosome Pool of Jews as Part of the Genetic Landscape of the Middle East, study is published at Am J Hum Genet. 2001 Nov; 69 (5).
2- Baillie Fraser, J., Travels in Koordistan and Mesopotamia, Vol 1, London 1840.
3- Benjamin II, J. J., Eight Years in Asia and Africa from 1846 To 1855, Hanover 1859.
4- Hayyim, J. Cohen., The Jews of the Middle East 1860-1972, Jerusalem, Keter press, 1972,
5- Mardean Esaac, Kurdistan and Israel (Israel & The Middle East), Study is published on this website: https://www.tabletmag.com/sections/israel-middle-east/articles/kurdistan-and-israel, Nov, 2018.
6- Raphael Patai, Haya Bar-Itzhak: Encyclopedia of Jewish folklore and traditions, New York, London, 2013.
7- FRASER JAMES BAILLIE – Encyclopaedia Iranica (iranicaonline.org)